سوريا فى ظل الاحتلال البريطانى عام ١٩٤١
أحداث ومواقف فى ضوء الوثائق العراقية

إعداد
د/ حامد عبد الحميد محمد مشهور
المدرس بقسم التاريخ
فرع التاريخ الحديث والمعاصر

المقدمة:

لم يحظ موقف الرأى العام السورى باختلاف فئاته وأحزابه وشرائحه وطوائفه وعشائره بدراسات تفصيلية له، ولا سيما خلال فترة حرجة من تاريخ سوريا المعاصرة وهى فترة الحرب العالمية الثانية، حيث أصبحت سوريا ميداناً للصراع العسكرى بين بريطانيا وحكومة فرنسا الحرة من جهة، وألمانيا وحكومة فيشى من جهة أخرى، وأصبحت ميداناً للصراع السياسى والتنافس الاستعمارى بين بريطانيا، وحكومة فرنسا الحرة، وتأتى هذه الدراسة لتلقى بعض الضوء على جانب محدد من مواقف الرأى السورى، ذلك هو موقفه من الاحتلال البريطانى لسوريا عام ١٩٤١، ولقد اعتمد الباحث فى هذه الدراسة على الوثائق وتقارير القنصليات العراقية فى كل من دمشق وحلب وبيروت باعتبارها كانت تراقب الأحداث عن كثب وتتعايش معها عن قرب، فالدراسة بذلك تشكل توثيقاً مهماً للأحداث السورية خلال هذه الفترة مع التأكيد أنها تتناول كل شيء ولم تغط مواقف الفئات والأحزاب السورية كافة بشيء من التفصيل، لاسيما خلال الفترة التى امتدت بين دخول القوات البريطانية دمشق فى حزيران، إلى نهاية أيلول حيث صار تاج الدين الحسنى رئيساً للجمهورية السورية .

تمهيد:

أدى انهيار الجبهة الفرنسية أمام الألمان وتوقيع المارشال بيتان على الهدنة مع ألمانيا فى حزيران ١٩٤٠، إلى انقسام فرنسا على نفسها، إلى حكومتين، حيث شكل بيتان حكومة فرنسية مالت إلى التعاون مع الألمان سميت بحكومة فيشى نسبة إلى هذه المدينة التى اتخذت مركزاً لها، إلا أن الجنرال ديغول لم يعترف بالهزيمة ورفض الاعتراف بحكومة فيشى فشكل حركة فرنسا الحرة.

وتبعاً لذلك أنقسمت القوات الفرنسية المتواجدة فى المستعمرات الفرنسية على نفسها أيضاً فتبع بعضها حكومة فيشى وتبع الآخر حركة فرنسا الحرة وكانت القوات الفرنسية الموجودة فى سوريا قد أعلنت ولاءها إلى حكومة فيشى لا سيما بعد أن أصبحت تحت قيادة الجنرال دنتيز فتحولت سوريا إلى مسرح للنشاط الألماني الإعلامى والعسكرى، أثناء ثورة مايس ١٩٤١ فى العراق، حيث أصبحت الأراضى السورية معبراً للمساعدات الألمانية التى وعد هتلر بتقديمها لدعم الثورة(٣).

بعد مشاورات عديدة بين القيادة البريطانية والجنرال ديغول، اتفق الجانبان على القيام بعمل عسكرى مشترك لاحتلال سوريا ولبنان، وكانت تختفى وراء هذا العمل دوافع أخرى لبريطانيا ليست أقل من استغلال الوضع الفرنسى المشتت لإزاحة فرنسا من هذين القطرين والحلول محلها، وعلى أية

(3) للتفاصيل ينظر: نجيب الارمنازى، سوريا من الاحتلال إلى الجلاء، بيروت ١٩٧٣، ص ٤٤ وما بعدها.

حال بدأت العمليات العسكرية فى ٨ حزيران ١٩٤١ بالتقدم نحو سوريا من عدة محاور، وكانت القوات البريطانية وجيوش مستعمراتها التى تقاتل معها كالهند واستراليا تشكل الغالبية العظمى من هذه القوات أما القوات الفرنسية الديغولية فكانت لاتزيد عن كونها قوات رمزية فقط ليس لها أى أثر فى نتائج العمليات العسكرية ضد قوات فيشى سوريا(٤).

وبعد مضى شهر ونيف تمكنت هذه القوات من فرض سيطرتها الكاملة على الأراضى السورية وإجلاء قوات حكومة فيشى عنها(٥). وقد تباينت ردود الفعل السورية إزاء احتلال الجيش البريطانى لسوريا بين مؤيد ومعارض، بينما فضل البعض الآخر الابتعاد عن الميدان بانتظار ما ستتمخض عنه الأحداث.

كانت القنصلية العراقية تتابع تطورات الموقف بدقة، فبعد أن كانت هذه القنصلية متهمة بتدبير حوادث الاضطرابات فى سوريا إبان عهد حكومة الدفاع الوطنى التى رأسها الكيلانى فى العراق بالاشتراك مع الألمان فهى الآن قد تخلت عن هذا الدور على الأقل فى نظر البريطانيين الذين أعادوا سيطرتهم على العراق والقضاء على ثوار مايس وعودة الوصى المخلوع عبد الإله إلى

(4) أنظر: دار الكتب والوثائق(د.ك.و) بغداد، وثائق البلاط الملكى، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٨٩، ص ٢٨٧ وكذلك وثيقة رقم ٩٠، ص ٢٨٨.

(5) يظهر من خلال مقارنة المعلومات التى وردت فى تقارير القنصلية العراقية العامة فى دمشق بأن القوات البريطانية كان لها الدور البارز فى احتلال سوريا والتى قدرت بفرقة استرالية ولواء الفرسان على محور صور ـ صيدا، ولواء مشاة على محور القنطرة ـ مرجعيون، ولواء ندى مع فرقة الجنرال ليجنتيوم على محور دير الزور، مع ٦٠ طائرة وعدد كبير من السفن الحربية ووضعت القوات تحت قيادة الجنرال ولسن، أما القوات الفرنسية الديغولية فلا تزيد عن ستة آلاف جندى مشاة مع ثمانية مدافع مع عشرون طائرة وضعت هذه القوات تحت أمرة الجنرال كاترو.

الحكم مرة أخرى. ففى حزيران ١٩٤١، كتبت هذه القنصلية تقريراً عن سير الأحداث فى سوريا، فقالت إن الهجوم البريطانى الديغولى على سوريا بدأ فى ٨ حزيران ١٩٤١، من محورين الأول محور فلسطين عن طريق بانسيا . القنيطرة والثانى من شرق الأردن. وقد اتخذت السلطات الفرنسية تدابير واسعة النطاق فحشدت الجيش وأعلنت حالة الحصار وأصبحت جميع المخابرات الهاتفية والبرقية خاضعة لمراقبة شديدة ومنع السفر على القطارات والسيارات، إلا بإذن من سلطات الجيش، ومنع التجول فى الشوراع وصدر الأمر بغلق المحلات فى الساعة التاسعة مساء، وأظهر الجنرال دنتيز الحزم التام للمقاومة بشدة فكان يزور جبهة دمشق كل يوم تقريباً، ولم يضع الفرنسيون قوات كافية على الحدود السورية بل ركزوا خط دفاعهم فى منطقة الكسوة لذلك احتل البريطانيون درعا وأزرع فى اليوم التالى لبدء الهجوم ولم يتمكنوا من اختراق خطوط دفاع الكسوة التى قاومت بشدة إلا فى ١٥ حزيران، وواصلت قوات الحلفاء الضغط على قوات دنتيز حيث تمكنت فى ١٨ حزيران من التسلل إلى بساتين كفر سوسة فى ضواحى دمشق، فى الوقت الذى بدأت بعذها فى السيطرة على المناطق الجبلية. فتمكنت من تطويق المزة وقلاعها واحتدم القتال حول القلعة التى ما لبثت أن استسلمت لهم، وفى ١٩ حزيران صدر الأمر لقوات فيشى بالانسحاب من دمشق وبدأت باتلاف الذخائر وبدأ الجيش بالانسحاب باتجاه حمص لاسيما بعد أن تمكنت قوات الحلفاء من قطع طريق دمشق بيروت. ويبدو أن هذا الانسحاب جاء بعد تسلم قوات فيشى الإنذار الذى أذاعه الجنرال

ويلسن قائد الحملة البريطانية على سورياوالذى أنذرهم بإخلاء دمشق قبل الساعة ٥.٣٠ من صباح يوم ١٩ حزيران، وإلا فإنهم سيتحملون المسئولية عن الأضرار التى ستنجم عن جعل دمشق ساحة حرب وقد تركت قوات دنتيز ضابطين برتبة عقيد ليقومان بتسليم المدينة إلى الحلفاء كما تم تخويل رئيس الحكومة السورية الصلاحيات التشريعية والتنفيذية فى البلاد، كما قامت الطائرات البريطانية بإلقاء المناشير على المدينة تحث السكان على التزام الهدوء، والسكينة، كما طلب أحد المناشير من القوات الفرنسية الانضمام إلى قوات الحلفاء أو عدم مقاومة جيوشهم، بحجة أنهم جاءوا لطرد الألمان العدو المشترك للطرفين من سوريا. ولكن حدث تبدل سريع فى الموقف إذ شوهدت قوات فيشى تعود مرة أخرى إلى دمشق وتتخذ مواضعاً دفاعية حولها بعد أن صدرت لها الأوامر من بيروت بالمقاومة حتى النهاية فاشتدت الحرب مرة أخرى حول المدينة، فاضطرت قوات فيشى إلى أخلاء المدينة مرة أخرى فى ٢١ حزيران، وتم إرسال وفد يمثل أهالى المدينة إلى قيادة قوات الحلفاء لإبلاغها نبأ جلاء القوات الفرنسية عن دمشق، وبدأت قوات الحلفاء وقادة جيوشهم بالدخول إلى المدينة من أبوابها العديدة وقد اجتمعوا برئيس الحكومة السورية على الفور، وفى مساء ٢٢ حزيران ١٩٤١، اجتمع رئيس الحكومة السورية بالجنرال لوجنتيوم فى هذا الاجتماع باسم الجنرال ديغول والحكومة البريطانية أن الانتداب قد زال وأن سوريا أصبحت مستقلة استقلالاً تاماً، وطلب من الحكومة السورية الاستمرار فى عملها ويصف القنصل العراقى فى دمشق

الأثر الذى تركته هذه الحرب على المدينة قائلاً إن الخراب أصاب أكثر القرى المحيطة بها وقد نكب سكان تلك القرى بأموالهم وأولادهم ومزارعهم، وقد ترك الجيش المهزوم أسوأ الأثر بحرقة البيادر والمزارع وهدم البيوت ومصادرة معظم وسائط النقل أثناء انسحابهم، وأشاد القنصل العراقى بالأثر الذى تركه الفاتحون قائلاً إنهم أمنوا الإعاشة للمدينة فنزلت الأسعار بعد أن ارتفعت ارتفاعاً فاحشاً، وبرهنوا على حسن نواياهم بإعلان استقلال سوريا، وقد وافق الجنرال كاترو الذى أصبح مفوضاً سامياً فرنسا فى دمشق على تحديد صلاحية المستشارين الفرنسيين وتقليل عددهم وجعل مصلحة الكمارك السورية تحت إشراف الحكومة السورية، وذكر القنصل أيضاً أن القتال مازال مستمراً فى شمال دمشق حيث رتبت قوات دنتيز خطاً دفاعياً جديداً فى القطفية وفى جبل ميلسون قرب الزبدانى وقال إن هذه المقاومة ستكون غير مجدية لأن الخطوط الدفاعية والقلاع المهمة قد سقطت بأيدى الحلفاء كما أن معنويات الجنرال دنتيز فى أدنى مستوياتها ولوحظ اختفاء عدد من ضباطه فى دمشق أثناء الانسحاب وانضمامهم لقوات الجنرال ديغول.

فى ٢٦ حزيران ١٩٤١، أبلغ دنتيز حكومة فيشى باستحالة استمرار المقاومة السورية، وبناء على ذلك طلبت حكومة فيشى من دنتيز التفاوض مع البريطانيين بشأن شروط الهدنة وفى ١١ تموز ١٩٤١ سلمت إلى الشروط البريطانية عن طريق الأمريكان وتم إيقاف القتال بين الطرفين فى ليلة ١٢/١١ تموز تمهيداً لعقد الهدنة التى تم توقيعها فى ١٤ تموز والتى تتضمن أية إشارة

إلى حركة فرنسا الحرة التى استبعدها دنتيز عن المفاوضات واكتفى بالتفاهم مع البريكانيين فقط، وقد وصف ديغول هذه العملية بأنها : لا تختلف فى شيء عن مجرد تسليم سوريا ولبنان إلى البريطانيين ببساطة" فأبلغ وزير الدولة البريطانية فى الشروق الأوسط أوليفر ليلتون Olierlyttleton أن حركة فرنسا الحرة غير ملزمة بهذه الاتفاقية. وهكذا أخضعت سوريا بأجمعها إلى سيطرة الحلفاء واعتباراً من ٢٨ تموز ١٩٤١ بدأت السلطات البريطانية باستلام الخطوط الحديدة بين حلب والاحية وحلب وتل كوجك بعد أن تم احتلال سوريا الشمالية بما فيها حلب والجزيرة العليا بهدوء وتم استلام مخافر الحدود التركية . السورية من قبل القوات البريطانية فى تموز ١٩٤١، كما احتلت هذه القوات حلب فى ٣٠ تموز واتخذت من فندق بارون مقراً لها، وقد استمر تدفق القوات البريطانية على حلب وما جاورها حتى وصلت إلى فرقة آلية كاملة كما وصل إلى حلب فوجان من السنغاليين المشاة التابعين لحركة فرنسا الحرة ووصلت أيضاً فرقة آلية بريطانية كاملة مؤلفة من الإستراليين والهنود قادمة من العراق بهدف احتلال المنطقة الساحلية بين اللاذقية وطرابلس.

* موقف السوريين الموالين لحكومة فيشى :

ظهرت أولى ردود الفعل إزاء هذه الأحداث خلال المعارك التى دارت بين قوات فيشى والقوات المتحالفة التى يقودها البريطانيون، فقد أشتركت بعض القوى السياسية السورية إلى جانب قوات فيشى فى الدفاع عن سوريا، وأشارت مذكرة القنصلية العراقية فى حلب المؤرخة فى ٢٩ تموز ١٩٤١ إلى أن الذين

اشتركوا فى جبهة بيروت ودمشق من السوريين الموالين لفرنسا (الفيشى) قد صرحوا لمعارفهم وأقاربهم أنهم لن ينتسبوا إلى أية قوة عسكرية لأية دولة أجنبية، وذلك لأن الفرنسيين أعطوهم درساً قاسياً فى الحرب الأخيرة، حيث كانوا يدفعونهم إلى خطوط القتال الأمامية بينما يتراجع عنهم الفرنسيون إلى الخلف بمسافات طويلة. فكان السوريون يتعرضون لنيران الأنكليز أكثر مما يتعرض له الفرنسيون، كما لم يجر تجهيزهم بالسلاح والعتاد الكافى، وتبين لهم فيما بعد أن مقاومة دنتيز بهذه القوة والمعدات القديمة الطراز للقوات البريطانية المزودة بالآليات والأسلحة المتطورة : كانت عبارة عن تقديم السوريين للمذبحة لاغير"[٦]. وظهر ذلك من خلال الخسائر الكبيرة التى تكبدها السوريون فى المعارك بشكل يفوق كثيراً ما تكبده الفرنسيون فيها. وقد علق القنصل العراقى على ذلك بقوله أن البريطانيين سيصادفون صعوبة فى تجنيد السوريين مرة أخرى[٧]، وأشار إلى الأرمن بشكل خاص لكونهم مثلوا الجزء الأكبر من الخسائر، وأعزى سبب هذا العزوف عن التطوع إلى ما شعر به السوريون من مهانة نتيجة تطوعهم إلى جانب قوات اللواء دنتيز[٨].

(6) د.ك.و وثائق البلاط الملكى، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٩٠، ص ٢٨٨ ـ ٢٩١.
(7) جيفرى وارنر، العراق وسوريا ١٩٤١، ترجمة وتقديم د. محمد مظفر الأدهمى، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٦، ص ٢٦٤.
(8) د.ك.و وثائق البلاط الملكى، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٧٢، ص ٢٣٧، كتاب القنصلية العراقية فى حلب إلى وزارة الخارجية بتاريخ ٣٠ تموز ١٩٤١.

* موقف بعض العشائر السورية فى منطقة الجزيرة :

وحال استتباب الأمور فى دمشق لصالح القوات البريطانية، أرسلت قيادة هذه القوات قطعات عسكرية آلية مؤلفة من الإستراليين والهنود إلى الأراضى التى تقطنها العشائر السورية فى الجزيرة، بغية جمع السلاح من هذه العشائر بصورة تدريجية وإخضاعها مع رؤسائها إلى السلطات البريطانية ومنع تسلط هذه العشائر على القرى فى قضايا " السلب والنهب" (٩).لاسيما وأن أهالى دير الزور شاركوا فى دعم ثورة مايس فى العراق بالمال والسلاح والرجال، فقد تألفت هناك نخبة لنصرة ثورة الكيلانى من الأخوة الثلاثة عبد اللطيف وعبد الكريم وعبد القادر فرحان الفياض، وكذلك الأخوين جلال وسعيد السيد وحسين جاهد وغيرهم من الشباب الوطنى السورى وعندما فشلت هذه الثورة لجأ فوزى القاوقجى وعدد آخر من رفاقه الثوار إلى منطقة دير الزور فاستضافهم أهلها وقدموا لهم الدعم المادى والمعنوى، وقد تزامن ذلك مع تصاعد الحركة الوطنيه السورية فى هذه المنطقة المناوئة للاحتلال البريطانى والتى تزعمها رمضان شلاش وعشائر البواسريا مرة أخرى ولكن ما أن استقرت الأوضاع لصالح بريطانيا ودخلت قواتها القادمة من العراق إلى دير الزور حتى قامت باعتقال عبد الكريم الفياض وسعيد السيد ونقلتهم إلى حلب ومنها إلى بيروت ولم يطلق سراحهما إلا بعد أن وضعت الحرب أوزارها.

(9) د.ك.و. وثائق البلاط الملكى، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٦٠، ص ١٧٥.

وذكر تقرير القنصلية العراقية فى دمشق المؤرخ فى ٢٠ تشرين الأول ١٩٤١، الحالة فى الجزيرة ودير الزور قد هدأت على أثر إجبار رمضان شلاش على الإقامة الجبرية فى بيروت وقد توقف القتال بعد أن تم تعيين ضابط ارتباط بريطانى فى تلك المنطقة وفى تقرير آخر ذكر القنصل العراقى فى دمشق بأن الحركات المعادية للفرنسيين عادت مرة أخرى للظهور فى الجزيرة ودير الزور بعد أن سكت قليلاً وقد سافر وزير الداخلية السورى إلى تلك المنطقة للاطلاع على تطورات الأوضاع فيها.

ويبدو أن أعمال" السلب والنهب" هذه قد اتخذت ذريعة من السلطات البريطانية لتجريد هذه العشائر من السلاح، وإخضاعها بالقوة للسيطرة البريطانية الجديدة على البلاد، وأن السلطات البريطانية أشاعتها بين الأوساط السياسية والدبلوماسية من أجل ذلك الهدف، إذ تشير مذكرة القنصلية العراقية فى حلب ٣٠ آذار ١٩٤١ إلى أن العشائر السورية فى تلك المنطقة لم تكن موالية للاحتلال البريطانى، الأمر الذى دفع البريطانيين إلى إرسال قواتهم العسكرية إليها تحت غطاء منع أعمال : السلب والنهب" التى تقوم بها تلك العشائر.

وفى هذا الإطار تشير مذكرة أخرى للقنصل العراقى فى حلب إلى وصول تورى ابن مجحم بن مهيد إلى تدمر خلسة بعد احتلالها من قبل البريطانيين ومقابلته للقائد البريطانى، مصرحاً له أن عشيرة عنزة تقف إلى

جانب الإنكليز بالرغم من تحريض الفرنسيين لها بأن تناوئ القوات البريطانية [١٠]. مما يؤكد أن العشائر السورية كانت ثائرة ضد البريطانيين بتحريض من الفرنسيين على خلاف ما ادعاه الإنكليز أنها كانت تقوم بأعمال السلب والنهب على القرى المجاورة لها.

وتؤكد هذه الوثيقة أن الشيخ مجحم بن مهيد رئيس عشيرة عنزة وأولاده وعبيده، قد توجهوا إلى دير الزور بعد توقف القتال مستقلين خمس سيارات لمقابلة السلطات البريطانيه وتقديم فروض الولاء والطاعة لها ووضع عشيرة عنزة تحت تصرفها ويبدو أن الشيخ مجحم اتخذ هذا الموقف بعد أن استقر الوضع لصالح بريطانيا وأصبحت المقاومة عملاً لا طائل منه أمام تلك الجيوش والأسلحة الحديثة التى لا يمتلك مثلها[١١].

* موقف الأقليات الدينية السورية :

ونظراً للتأثير العميق الذى تؤديه الطوائف الدينية فى بلاد الشام فى الأحداث السياسية عبر المراحل التاريخية المختلفة، لابد لنا ونحن نعرض لمواقف القوى السورية من الاحتلال البريطانى من أن نشير إلى مواقف بعض هذه الطوائف مثلما وردت فى الوثائق العراقية.

(10) د. ك. و. وثائق البلاط الملكى، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٧٢، ص ٢٣١.
(11) د. ك. و. وثائق البلاط الملكى، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٧٠، ص ٢١٨.

لقد استبشر بعض المسيحيين السوريين خيراً من الاحتلال البريطانى لتحقيق بعض أهدافهم السياسية، إذ عقد كبار الطائفة المسيحية عدة اجتماعات لدراسة معاهدة ١٩٣٦ للتحرى فيها عما يضمن حقوق الأقليات ضماناً صريحاً، فإذا خلت من مثل هذا النص فإنهم سينتظرون استقرار الحالة فى سوريا حتى إعلان تطبيق المعاهدة فيطالبون السلطات بوضع ملحق لها يكون ضامناً لحقوق الأقليات من جهة، وجعل الحكم فى البلاد على أساس اشتراك الأقليات فيه بنسبة عددهم حسبما هو مدون فى سجلات النفوس من جهة أخرى" (١٢).

وأكدت مذكرة القنصلية العراقية فى حلب المؤرخة فى ٢٧ تموز ١٩٤١، على أن المسيحيين يقاومون بصورة خاصة فكرة الحكم الملكى ويتخوفون من الإشاعة التى تسرى فى البلاد، ومفادها أن بريطانيا بعد أن تستقر الحال فى سوريا ستضم فلسطين وشرق الأردن وسوريا إلى العراق وتجعلها تحت تاج واحد، وأن رفض المسيحيين لهذه الفكرة متأتٍ من اعتبار أن هذا الأمر يمس بمصالح الأقليات التقليدية(١٣)، ولا يستبعد أن يكون مصدر هذه الإشاعة هو السلطات الفرنسية (الفيشية) لتضمن ولاء تلك الأقليات إلى جانبها فى الحرب

(12) على سبيل المثال كان حسنى الزعيم مكلفاً بتنظيم عمليات فدائية تقوم بها القوات السورية الخاصة الموالية لقوات فيشى ضد القوات البريطانية والديغولية، إلا أنه لم ينفذ هذا الأمر وأختفى مع مبلغ ٣٠٠ ألف ليرة سورية، وضعت تحت تصرفه، وقد قبض عليه بعد توجيه نداءات إذاعية وحكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات أنظر: باتريك سيل، الصراع على سوريا دراسة للسياسة العربية ١٩٤٥ ـ ١٩٥٨، ترجمة سميرة عبده ومحمود فلاحة، ط١، دار الحكمة للنشر، بيروت، ١٩٨٠، ص ٦٨.

(13) د. ك. و. وثائق البلاط الملكى، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٧٢، ص ٢٦٣. وكذلك وثيقة رقم ٢٠، ص ٢٢٠.

ضد بريطانيا، وفضلاً عن ذلك فقد سرت فى بعض الأوساط الشعبية السورية حينذاك إشاعة فحواها أن بريطانيا ستلحق حلب ودير الزور والجزيرة العليا بالعراق، وتلحق فلسطين وحمص وحماه ودمشق بشرق الأردن تحت تاج الأمير عبد الله [١٤]، كما أنها ستجعل من اللاذقية وطرابلس الشام وبيروت والأراضى اللبنانية قطعة ساحلية تدير شؤونها فرنسا الحرة، وقد تخوف المسيحيون كثيراً من هذه الشائعة باعتبارها ستجعل الحكم فى سوريا الداخلية حكماً إسلامياً صرفاً [١٥]، إذ يحكم كل من العراق والأردن ملكان مسلمان[١٦].

أما اليهود السوريون فقد حاولوا انتهاز هذه الفرصة نظراً لموقف بريطانيا المعروف فى مناصرة الحركة الصهيونية من أجل زيادة النشاط الصهيونى فى سوريا حيث قام يهود حلب بتأسيس جمعية تجارب يهودية فى هذه المدينة، غايتها الحصول على ترخيص من الحكومة البريطانية لتأسيس فرع فى حلب

(14) إبراهيم علوان، من مشكلات الشرق الأوسط ـ الوطن العربى، الجزء الأول، منشورات المكتبة العصرية ـ بيروت ١٩٦٨، ص ٥٠ ـ ٥١.

(15) رمضان شلاش: ولد عام ١٨٦٩ وهو ابن الشيخ شلاش عبد الله السليمان رئيس عشائر البو سرايا بمحافظة الفرات تخرج من المدرسة الحربية العثمانية فى أسطنبول برتبة ملازم إشترك فى الحرب العثمانية ـ الإيطالية فى ليبيا ١٩١١، وأصبح قائد لقوات الخيالة العثمانية فى فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى، ثم أنضم إلى ثورة الشريف حسين وأصبح كبير المرافقين له، عين عام ١٩١٩ حاكماً عسكرياً على منطقة دير الزور والجزيرة فأعلن ثورته على الأنكليز واحتل دير الزور فى ١٣ كانون الأول ١٩١٩، وعندما عينت الحكومة الفيصلية فى دمشق مولد مخلص حاكماً على دير الزور، وأعلن شلاش التمرد عليه فى عام ١٩٢٠ منح رتبة زعيم (عميد) ووقف هو وعشائره بوجه الفرنسيين ثم حكم عليه بالإعدام بعد الاحتلال الفرنسى فلجأ إلى الأردن حيث منحه الشريف حسين رتبة لواء ومنحه لقب الباشوية، وفى عام ١٩٢٣ عينه قائداً عاماً لقوات التحرير التى كان الشريف حسين يروم تحرير سوريا بها من الفرنسيين، نفاه الفرنسيون إلى بيروت عام ١٩٣٧، ثم عاد إلى وطنه بعد اندحار فرنسا التى احتلت سوريا عام ١٩٤١ ورفض الاعتراف بجمهورية تاج الدين الحسنى فنفى مرة أخرى إلى بيروت حتى إستقلال سوريا نهائياً ١٩٤٦، للتفاصيل ينظر: إبراهيم علوان، المصدر السابق ، ٥٠ ـ ٥١. ٥١.

(16) د.ك.و وثائق البلاط الملكى، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١ وثيقة رقم ٧٢، ص ٢٢٥.

للشركة الصهيونية الإستثمارية التى مركزها فى تل أبيب، وقد أوفدت هذه الجمعية أحد أعضائها إلى بيروت لتقديم طلب الترخيص لها بالعمل، وكانت هذه الجمعية قد تأسست على إثر الاجتماع الذى عقده اليهود فى كنيسة حلب فى ٢٠ تموز ١٩٤١وتعمل هذه الجمعية فى الظاهر كجمعية تعاونية غايتها الدفاع عن مصالح الطائفة الموسمية، وإفهام السلطات البريطانية مطالبها السياسية[١٧]، إلا أنها فى الواقع كانت تهدف إلى خدمة الحركة الصهيونية.

* موقف السوريين (المعتدلين) :

يطلق السوريون على الجماعات السياسية الموالية لفرنسا أحياناً اسم (جماعة المعتدلين) أما السلطات الفرنسية فكانت تسميتهم (العناصر الرشيدة) وتضم هذه الفئة عناصر معروفة، بعضهم أعضاء فى المجالس النيابية السورية أو وزراء فى الحكومات السورية السابقة، وقد باشر هؤلاء عقد اجتماعات تمهيدية بهدف تأسيس جبهة سياسية تضم المسلمين والمسيحيين لمقاومة تيار الكتلة الوطنية عند إجراء الانتخابات العامة أو عند تشكيل الحكومة الجديدة[١٨].

كانت هذه الجماعة تسعى للتفاهم مع السلطات البريطانية والتقرب منها كشأنهم مع السلطات الفرنسية ، وأشهر هؤلاء الدكتور عبد الرحمن الكيالى، وعلق القنصل العراقى فى حلب على موقف هذه الجماعة قائلاً، " أن الكفة

(17) المصدر نفسه.
(18) د. ك. و. وثائق البلاط الملكى، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٧٠، ص ٢١٥.

راجحة إلى جهة المعتدلين فى ربح المعركة الانتخابية والتفاهم مع الإنكليز فى تشكيل الحكومة .." التى كان من المؤمل تشكيلها فى ظل الإحتلال البريطانى الفرنسى (اليدغولى) فى تلك المدة[١٩].

وتوجد ضمن هذه الفئة مجموعة سياسية يطلق عليها اسم (الانتدابيين) وهم ممن يؤيدون الانتداب الفرنسى وتعتمد عليهم السلطات الفرنسية كل الاعتماد وقد بدأ هؤلاء بعقد اجتماعات متتالية لبحث الموقف السياسى الذى ينتظر أن تفاجأ به سوريا قريباً، بعد أن أعلن الجنرال كاترو[٢٠] عن لسان الجنرال ولسن[٢١] والجنرال ديغول أن دور الانتداب قد انتهى فى سوريا، وأنها ستمنح حقوقها بموجب معاهدة ١٩٣٦ المعقودة فى باريس بين فرنسا وممثلى سوريا الذين كانت أكثريتهم تتألف من الكتلة الوطنية، وقد وضع الانتدابيون فى اجتماعهم تقريراً أرسل إلى السلطات البريطانية والديغولية جاء فيه " لاتهتم هذه البلاد فى الظروف الحالية بأمر المعاهدة أو إلغاء الانتداب، بقدر ما يهمها تأمين معيشتها وإطلاق حرية تجارتها ولإزالة الحواجز الاقتصادية بينها وبين

(19) المصدر نفسه كذلك وثيقة رقم ٢٧٠، ص ٢١٥.

(20) يبدو أن هذه الشائعات لم تكن بلا سند ففى أوائل عام ١٩٤٢ قابل نورى السعيد فى القاهرة ريتشارد كيسى وزير الدولة البريطانى لشؤون الشرق الأوسط وعرض عليه مشروع سوريا الكبرى، فطلب منه كيسى أن يعد مشروعاً مكتوباً بهذا الصدد، فأرسل نورى السعيد مذكرة سرية حول القضية العربية اقترح فيها توحيد سوريا ولبنان وفلسطين والأردن فى دولة واحدة على أن يمنح اليهود فلسطين حكماً ذاتياً وتوفير الحماية اللازمة للمسيحين فى لبنان ثم تربط بعد ذلك سوريا الكبرى بالعراق .. أما الأمير عبد الله فقد قال يطالب بدمج سوريا ولبنان تحت زعامته، للتفاصيل راجع: باتريك سيل، المصدر السابق ، ص ٢٧ ـ ٢٨.

(21) كان هذا الموضوع العامل الاساسى الذى جعل المسيحيين اللبنانيين يعرضون فكرة الانضمام للحكومة الفيصلية بدمشق عام ١٩٢٠.

البلدان المجاورة، أى العراق وفلسطين وتركيا ، والبلاد الأخرى كمصر وإيران والهند .." وجاء فى هذا التقرير " أن السياسة لا تغير سوريا وإنما هى تريد عملاً اقتصادياً ينسيها مرارة الأزمات الاقتصادية السابقة وإذا كان لا بد من خلق حدث سياسى فى البلاد يتضمن عقد معاهدة، سواء كانت معاهدة عام ١٩٣٦ أو غيرها فلابد من إلفات نظر السلطتين المتحالفتين إلى أنه من الضرورى انتقاء الأشخاص النزيهين من ذوى العفة والنوايا المخلصة للتوقيع على المعاهدة لأن الأشخاص الذين أبرموا معاهدة ١٩٣٦ باسم سوريا ثم تولوا الحكم كانوا بعيدين عن النزاهة وخلوص النية، فما كاد الأمر يستتب لهم إلا وصاروا يتربصون الدوائر بالحكومة الفرنسية وبكل من يلوذ بها، فاحتكروا المنافع والمصالح والوظائف لأنفسهم وذويهم، وأوقفوا أموال الدولة على أحداث أعمال الشقاوة والاضطرابات كتسليح الرعاع وتشجيعهم للقيام بأعمال إرهابية ضد الحكومة الفرنسية وضد خصومهم فى الحزبية والرأى فكانت هذه المعاهدة على هذا المنوال وبالاً على البلاد مقتها كل مخلص مجرد من الغاية ..." (٢٢).

لقد عبر هذا التقرير بشكل جلى عن مصالح الفئة التجارية (الكومبرادورية) التى ارتبطت مصالحها بشكل مباشر مع القوى الأجنبية الاستعمارية، حتى بات مصير البلاد واستقلالها السياسى لا يحظ بأى أهتمام من جانبها، وإنما كل ما تطمح إليه هو تحقيق مصالحها الاقتصادية وازدهار

(22) د. ك. و وثائق البلاط الملكى، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٧٢، ص ٢٢٥.

تجارتها، متخذة من معاهدة ١٩٣٦ التى تهدف إلى أنهاء مرحلة الأنتداب الفرنسى على سوريا، ومنحها الأستقلال ولو مشروطاً منطلقاً لمهاجمة رجال الكتلة الوطنية والعناصر الوطنية السورية الأخرى التى اتهمتهم باحتكار السلطة والمنافع والوظائف وعدم الاخلاص وفقدان النزاهة.

والجدير بالذكر أن جميل مردم[٢٣] عضو الكتلة الوطنية لتبادل الزيارات مع تاج الدين الحسنى، وهو من العناصر (الانتدابية) الموالية لفرنسا، الأمر الذى أثار استغراب بعض أعضاء الكتلة ومنهم سعد الله الجابرى[٢٤] رئيس فرع الكتلة الوطنيه فى حلب، الذى بادر إلى إرسال جميل إبراهيم وهو أحد عناصر الكتلة، إلى دمشق لاستطلاع الموقف خشية اتفاق الأحزاب السورية المختلفة على صيغة العمل المشترك دون الأخذ بنظر الاعتبار موقف جماعة الكتلة فى حلب[٢٥]. وعلى أية حال كان موقف الكتلة الوطنية هو المواقف المعمول عليه فى أية عمل سياسى بشأن تقرير مصير البلاد بالنسبة للحركة الوطنية السورية، إلا أن الفرنسيين مالوا إلى التعامل مع العناصر الانتدابية أكثر من غيرهم فى حل المسألة السورية، الأمر الذى يؤد إلى الاستقرار السياسى المنشود فى سوريا خلال المرحلة التى أعقبت ذلك.

(23) د. ك. و وثائق البلاط الملكى، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٧٠، ص ٢١٥، نص تقرير القنصلية فيحلب بتاريخ ١٩٤١/٨/٦.
(24) د. ك. و وثائق البلاط الملكى، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٧٢، ص ٢٣٠ نص مذكرة القنصلية العراقية فى دمشق المؤرخة فى ١٩٤١/٧/٢٨.
(25) المصدر نفسه، كذلك وثيقة رقم ٧٠، ص ٢١٧.

* موقف السوريين الموالين للمحور :

يمكن أن نميز بين فئتين من هذه المجموعة ، الفئة الأولى وهى العناصر التى ارتبطت مصيرياً بالحركة النازية، ليس بدافع إيمانها العقائدى وإنما بدافع المصلحة والمنافع، فكانت أداة لبث الدعاية للحركتين النازية والفاشية وعيوناً لها لمراقبة أى نشاط للحفاء فى سوريا، والفئة الثانية هى العناصر الوطنية والقومية السورية التى كانت ترى فى التحالف مع المحور وسيلة للحصول على الاستقلال التام والتحرير من السيطرة الفرنسية.

ويظهر من خلال تقارير القنصليات العراقية فى سوريا ولبنان أن كلا الفئتين قد خشيتا من عاقبة الأمر بعد الاحتلال البريطانى لسوريا، فقرر أفرادهما مغادرة البلاد إلى ألمانيا وإيطاليا، واتصلوا برئيس لجنة الهدنة الألمانية فى سوريا الهر روزر الذى اتخذ من فندق بارون فى حلب مقراً لإقامته، وطلبوا منه يسهل لهم السفر إلى ألمانيا فوافق على تسفير ثلاثة منهم على حساب الحكومة الألمانيه، وهم محمد رستم وزوجته لكونها ألمانية الجنسية، ومحمود البراقى وعبد الرازق كاتبه، وأما القسم الآخر فقد حصلوا على جوازات سفر إلى تركيا حيث سيكون بإمكانهم السفر من هناك إلى أثينا أو صوفيا أو برلين أو روما[٢٦].

(26) جورج كاترو (١٨٧٩) عسكرى وسياسى فرنسى تخرج من كلية سان سير العسكرية، جرح وأسر فى الحرب العالمية الأولى، عمل فى الجزائر كقائد عسكرى لبعض الوحدات الفرنسية عام ١٩٣، ثم حاكماً لدمشق فى عهد الانتداب، وحاكم شام للهند الصينية عام ١٩٣٩ رفض التعاون مع حكومة فيشى بعد سقوط فرنسا، وانضم لقوات فرنسا الحرة، عينه ديغول ممثلاً له فى الشرق الأوسط عام ١٩٤٤، ثم مفوضاً سامساًلفرنسا فى سوريا بعد طرد قوات فيشى منها، ثم وزيراً لشئون أفريقيا عام ١٩٤٤ فى

ازدادت هواجس الفئة الأولى خيفة وكذلك الفئة الثانية بعد أن بدأت السلطات البريطانية فعلاً، وعن طريق دائرة الأمن العام والموظفين الفرنسيين فيها، باعتقال عشرات الأشخاص الذين لهم علاقة بدول المحور، وواصلت دائرة الأمن العام البحث عن الذين عرفوا بأنهم يقومون ببث الدعاية النازية والفاشية، أو كان لهم اتصال بلجنة الهدنة واعتقالهم حيث اعتقل بالفعل فى حلب أرنست أسود، وبيير أسود وبيير أمين أنطاكى، ونلى مارك وكيل شركة رينو(٢٧).

جاءت عملية البحث والمطاردة تلك بعد أن استسلمت السلطات البريطانية دائرة الأمن العام فى ٢٠ حزيران، ووضعت يدها على جميع الأضابير والوثائق واحتفظت باثنين من موظفيها وهما تيودور نجار، وجان خاتجى، فى وظيفتهما لتستعين بهما فى معرفة أسرار الدائرة الداخلية، والوقوف على حقيقة الأوراق التى سرقها المسيو بكفيل المدير الفرنسى السابق لها، قبيل دخول الجيش البريطانى(٢٨).

حكومة فرنسا الحرة، ثم سفيراً فى موسكو عام (١٩٤٥ - ١٩٤٦) ثم وزيراً مقيماً فى الجزائر عام ١٩٥٦ انظر أحمد عطية الله، القاموس السياسى، ط٣، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٩٤٩ - ٩٥٠.

(27) اللورد هنرى ويلس (١٨٨١ - ١٩٦٤) قائد عسكرى بريطانى، شارك فى حرب البوير وأصبح قائداً عاماً للقوات البريطانية فى مصر ١٩٣٩، وحاكماً عسكريا بريطانياً لليبيا عام ١٩٤٠ وقائداً للقوات البريطانية فى اليونان عام ١٩٤١ ثم فلسطين وشرق الأردن، قاد الحملة البريطانية على سوريا عام ١٩٤١، أنظر أحمد عطية الله، المصدر السابق.

(28)د. ك. و وثائق البلاط الملكى، ملف رقم ٧٣٣ - ٣١١، وثيقة رقم ٧٢، ص ٢٣٢ نص مذكرة القنصلية العراقية فى حلب المؤرخة فى ١٩٤١/٧/٢٩ كذلك، المصدر نفسه، وثيقة رقم ٧٠، ص٢١٧.

أما فيما يتعلق بالفئة الثانية، التى تضم العناصر الوطنية السورية التى تعاونت مع المحور أملاً فى تحرير سوريا من الاستعمار الفرنسى، فقد سهل الهر روزر لبعضهم أمر السفر إلى أوربا، ومن هؤلاء نبيه وعادل العظمة، والأمير عادل ارسلان، وتوفيق الحسينى، وعزت دروزه، وأخيه وأكرم زعيتر، وصبحى أبو غنيمة[٢٩]، ويلاحظ أن بعض هؤلاء هم من الفلسطينيين المقيمين فى سوريا، حيث لا يخفى تعاطف الفلسطينين مع ألمانيا ومنهم مفتى فلسطين أمين الحسينى حيث تجمعهم مع ألمانيا النازية نقطة العداء المشترك لليهودية العالمية، كما يجب أن نشير إلى أن بعض هؤلاء فضل مغادرة البلاد على طريقته الخاصة ومنهم شكرى القوتلى [٣٠] الزعيم السورى المعروف الذى غادر سوريا إلى المملكة العربية السعودية نظراً لعلاقاته الأسرية الوطيدة مع أسرة آل سعود[٣١].

(29) جميل مردم (١٨٩٠ - ١٩٥٠) سياسى سورى ولد بدمشق ودرس القانون بباريس، وأسهم فى الجمعيات العربية والأحزاب السياسية منذ شبابه عين مرات عدة رئيساً للوزارة السورية، أنظر الموسوعة العربية الميسرة المجلد الأول، ص ٦٤٧.

(30) سعد الله الجابرى (١٨٩١ - ١٩٤٨) سياسى سورى ولد بحلب وتعلم فيها وأكمل تعليمه فى اسطنبول، أشتغل بالحركة العربية فى العهد العثمانى، انضم إلى الثورة العربية عام ١٩١٦، ثار ضد الفرنسيين بعد سقوط الحكومة الفيصلية وشكل حكومة وطنية فى شمال سوريا شارك بالثورة الكبرى عام ١٩٢٥، اعتقل بعدها ونفى إلى لبنان، شارك فى مفاوضات عام ١٩٣٦ لعقد معاهدة مع فرنسا، وتولى رئاسة مجلس النواب ثم رئاسة الوزراء بعد إستقلال سوريا عام ١٩٤٣، انظر الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول، ص ٩٨١.

(31) د. ك. و وثائق البلاط الملكى، ملف رقم ٧٣٣ - ٣١١، وثيقة رقم ٢٧، ص ٢٣٤، وكذلك المصدر نفسه ، وثيقة رقم ٧٠، ص ٢١٧.

وفى هذا الصدد أشارت مذكرة القنصلية العراقية فى حلب المؤرخة فى ٢٧ تموز ١٩٤١، إلى نزوح الذين سمتهم بـ (النازيين السوريين)[٣٢] إلى تركيا وألمانيا، مؤكدة أن قسماً كبيراً من الشباب العربى القومى سافر كذلك إلى تركيا خوفاً من الوقوع بأيدى الإنكليز، باعتبار -أن ميولهم نازية ولكن من المحتمل عودتهم إلى بلادهم بالتدريج بعد أن يتأكدوا أنه ليس هناك من يلاحقهم[٣٣].

لقد عبر القنصل العراقى فى بيروت تعبيراً صادقاً عن أمانى وطموحات هذه الفئة، خلال لقائه بالعميد دى كورى ضابط الاستخبارات البريطانى فيها، فقد عبر دى كورى فى هذا اللقاء عن رغبته فى إيجاد تقارب روحى بين سوريا ولبنان من جهة وبريطانيا من جهة أخرى، لاسيما وأن المصالح واحدة ومشتركة، وأبدى تخوفه من بعض العناصر الإسلامية التى يرى أنها تأثرت بالدعاية النازية، فأجابه القنصل "أن القضية فى الحقيقة قضية مصلحة فليس هناك من يعتنق الأفكار النازية، ولكنهم كانوا يتقبلون الدعاية النازية نكاية في فرنسا التى كانت تضطهدهم .. أما الآن فأوكد لك أن أكثر الزعماء المسموعى الكلمة يعتقدون أن المصلحة فى الإتفاق مع بريطانيا، وهم يميلون إلى التفاهم مع الأقطار العربية الأخرى عن هذا الطريق" وبرر القنصل العراقى إحجام الزعماء السوريين عن الاتصال بالسلطات البريطانية باعتزازهم بكرامتهم، وأن

(32) د.ك.و وثائق البلاط الملكى، ملفه رقم ٧٣٣ـ ٣١١، وثيقة رقم ٩٠، ص ٢١٤، نص تقرير القنصلية العراقية فى حلب بتاريخ ١٩٤١/٨/٦.

(33) د.ك.و وثائق البلاط الملكى، ملف رقم ٧٣٣ـ ٣١١ ، وثيقة رقم ٧٢، ص٢٤٣، نص مذكرة القنصلية العراقية فى حلب بتاريخ ١٩٤١/٨/٤.

ما يقال عنهم إنما هو صادر عن خصومهم الذين يرحبون بكل قادم، وأكد القنصل العراقي للضابط البريطاني أن "كل الزعماء السوريين المسلمين مستعدون للتعاون الشريف مع بريطانيا" فوعده دى كورى بنقل هذا الحديث إلى القيادة العسكرية البريطانية(٣٤).

لم يكن ضابط الاستخبارات البريطاني دى كورى دقيقاً فى تشخيصه عندما وصف العناصر الموالية للمحور، والمتعاطفة بشكل خاص مع النازية الألمانية، بأنها عناصر إسلامية. فلقد ذكرنا سابقاً أن عدداً من أسماء هذه العناصر التى وضعتها فى صنفين، الأول مرتبط وظيفياً مع ألمانيا إلى درجة التابعية، والآخر متعاطف عقائدياً لدرجة تقترب من التحالف السياسى وبين كل منهما عناصراً مسلمة وأخرى غير مسلمة، وبلا أدنى شك فقد عنى الضابط البريطانى بحديثه الفئة أو الصنف الثانى الذى يضم القيادات السياسية الوطنية الفاعلة على الساحة السورية والتى تتكون غالبيتها العظمى من العناصر المسلمة التى عرفت بعدائها للسيطرة الاستعمارية.

* موقف الحزب الشيوعى السورى :

شهد الحزب الشيوعى(٣٥) فى سوريا بعض الخمول فى نشاطه السياسى، بسبب مطاردة السلطات الفرنسية (الفيشية) له واعتقال عدد من أعضائه ولكن ما أن

(34) د.ك.و وثائق البلاط الملكى، ملف رقم ٧٣٣ـ ٣١١ ، وثيقة رقم ٧٠، ٢١٦.
(35) د.ك.و وثائق البلاط الملكى، ملف رقم ٧٣٣ـ ٣١١، وثيقة رقم ٩٠، ص٢١٤، نص تقرير القنصلية العراقية فى حلب بتاريخ ١٩٤١/٨/٦.

استقرت الحال لصالح الحلفاء فى سوريا، حتى عاد نشاطه إلى سابق عهده، بل زاده نشاطاً عامل التحالف بين بريطانيا والاتحاد السوفيتى فى حربهما ضد ألمانيا النازية، فتوافقد أعضاؤه على بيروت حيث كان قد اتخذ منها مقراً عاماً له، وعقدوا اجتماعات متتالية لبحث الموقف فى سوريا، وقد وجه بعضهم كتاباً إلى الجنرال كاترو طلبوا فيه الأفراج عن أعضاء الحزب الذين سجنتهم سلطات حكومة فيشى فى سوريا كما طالبوا بفسح المجال أمام الحزب كى يتعاون مع السلطات الجديدة فى الكفاح ضد الفاشية[٣٦].

لم يكن من المستغرب أن يبدى الحزب الشيوعى استعداده للتعاون مع السلطات البريطانية والفرنسية التى ينظر إليها قبل ذلك التاريخ أى قبل حزيران ١٩٤١ حيث دخل الاتحاد السوفيتى الحرب إلى جانب الحلفاء . على إنهاء ترى استعمارية يجب الكفاح ضدها لا التعاون معها الموقف الذى يمكن تفسيره فى نطاق متطلبات التبعية السياسية للأحزاب الشيوعية العالمية للاتحاد السوفيتى.

(36) شكرى القوتلى (١٨٩١ -) سياسى عربى سورى - درس فى دمشق واسطنبول، اشترك منذ شبابه فى الجمعيات العربية السرية، اشترك بالحكومة الفيصلية بدمشق عام ١٩٢٠، ناى الاحتلال الفرنسى وابعد عن البلاد ثم عاد إليها عام ١٩٣٠، ثم غادر عام ١٩٤١ إلى السعودية، وعاد إليها فى العام التالى بناء على وساطة السعوديين لدى السلطات البريطانية والفرنسى، انتخب عضواً فى البرلمان السورى عام ١٩٥٥، شارك بدور فاعل بقيام وحدة ١٩٥٨ بين سوريا ومصر ومنحه عبد الناصر لقب المواطن العربى الأول انظر: الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الثانى، ص ١٠٩، كذلك خير الدين الزر كلى، الأعلام، المجلد الثالث، ط٤١، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٧٣ - ١٧٣.

لقد أكد ولتر لاكور الخبير الدولى فى شئون الشرق الأوسط هذا النهج للأحزاب الشيوعية العربية بشكل خاص، ومنها الحزب الشيوعى السورى، حيث أشار إلى أن موسكو كانت تنظر فى أيلول ١٩٣٩ إلى الذين أيدوا الحرب ضد المحور من زعماء الشرق الأوسط على أنهم خونة، لأن شعوب المنطقة كانت لا تريد أن تستثمر كأدوات عمياء فى الحرب، وكانت لا تريد أن يضحى بها لمصلحة المستعمرين، ولكن هذا الاتجاه ما لبث أن تغير بعد حزيران ١٩٤١، حين دخل السوفيت الحرب إلى جانب بريطانيا، فأصبح يعد (خائناً) كل من يرفض الحرب ضد المحور[٣٧]، وكان طبيعياً أن ينتقل هذا التذبذب فى المواقف وفقاً لآلية الأحزاب الشيوعية العالمية إلى الحزب الشيوعى السورى، الأمر الذى يمكن أن يفسر بموجبه موقفه السابق من الاحتلال البريطانى.

* موقف الكتلة الوطنية :

انقسمت الكتلة السورية على نفسها بين مؤيد ومعارض للاحتلال البريطانى، ولتلافى هذا الانقسام قررت الكتلة عقد غايته اتخاذ قرارت حاسمة حول موضوع المشاركة بالانتخابات التى وعد كاترو بإجرائها بالتعاون مع السلطات البريطانية، وتشكيل حكومة سورية بالاستناد إلى معاهدة ١٩٣٦ وكذلك بحث موضوع التعاون مع بريطانيا، حيث كان التيار الأول فى الكتلة يعارض المشاركة فى الانتخابات ويرفض التعاون مع البريطانيين، لأن وجودهم

(37) انظر: باتريك سيل، المصدر السابق، ص ٤٦.

فى سوريا إنما هو حسب آرائهم حالة مؤقتة، أما التيار الثانى فكان يرى العكس من ذلك، ويحبذ اغتنام الفرصة للتعاون مع البريطانيين ودخول الانتخابات واستلام زمام الحكم ويعتقد هذا الفريق أن البريطانيين لن يتركوا البلاد مهما كلفهم ذلك(٣٨).

وبناء على ذلك أرسل سعد الله الجابرى مذكرتين إلى كل من جميل مردم وشكرى القوتلى(٣٩) مستفسراً عن إمكانية عقد مؤتمر فى حلب أو دمشق لأجل تقرير موقف الكتلة بعد الاحتلال البريطانى لسوريا، ثم دعا ليلة ٢٦ . ٢٧ تموز أعضاء الكتلة فى حلب وهم الشيخ عبد القادر السرمين وإسماعيل كخيا وعلى الحيانى وميخائيل البان ومحمد طلس، إلى الاجتماع به، وطلب منهم البقاء مترابطين ومتضامنين مع بعضهم البعض، لتبادل الآراء سواء اشتركوا فى الوضع السياسى الحالى أم لم يشتركوا، وأبلغهم قائلاً" إذا كان الإنكليز مستعدين لإعادة المجلس النيابى الذى أوقفت أعماله بقرار من المفوض السامى، وتنفيذ معاهدة ١٩٣٦ كما هى معقودة مع فرنسا، ففى هذه الحالة ليس هناك ثمة مانع من اشتراكنا فى الحكم" وأشار إلى أنه بانتظار

(38) ظهر النشاط فى سوريا بشكل واضح فى عام ١٩٣٢، عندما أسس انطوان سعادة وهو من أصل يونانى الحزب القومى السورى، متتبعاً فى تشكيله الأساليب الفاشية والنازية والتنظيمات الشبه عسكرية، وعارض الانتداب الفرنسى ودعا إلى إقامة دولة سوريا الكبرى، حكم عليه بالإعدام عام ١٩٤٩ فى لبنان، فخلفته زوجته جونيت سعادة فى رئاسة الحزب الذى قام بمحاولة فاشلة للسيطرة على السلطة فى لبنان عام ١٩٦٢، انتهت باعتقال أعضاء الحزب ومحاكمتهم للتفاصيل انظر: الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول، ص ٧١٤، باتريك سيل، المصدر السابق ، ص ٩٤ ـ ١٠٣.

(39) د. ك. و وثائق البلاط الملكى، ملفه رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٧٢، ص ٢٤٤.

جواب الكتلة فى دمشق حول هذا الأمر، وطلب من أتباعه التكتم والحرص فى أحاديثهم بالأماكن لئلا تفسر أقوالهم بأنهم يشاغبون ضد الإنكليز[٤٠].

علق القنصل العراقى فى حلب على ذلك قائلاً: " يظهر لنا من هذه المحادثات والاجتماعات أن سعد الله الجابرى وجماعة الكتلة شديدى الرغبة فى التفاهم مع الإنكليز، وذلك يقطعوا حبل الاتصال بين الإنكليز، وذلك يقطعوا حبل الاتصال بين الإنكليز والمعتدلين وجمعية الهيئة الشعبية فى دمشق، وهى جماعة المرحوم عبد الرحمن الشهبندر" [٤١] والنتيجة أن الأحزاب الموجودة فى سوريا وهى الكتلة الوطنية والمعتدلون والشباب القومى العربى والجمعية الشعبية، كلها مستعدة للتفاهم مع الإنكليز وساعية إلى ذلك بشتى الوسائل والطرق وبأية صورة كانت[٤٢]، ويبدو أن هذا الموقف قد اتخذ نكاية في فرنسا وأملاً في الحصول على الاستقلال.

تلقى سعد الله الجابرى رداً متوقعاً من الكتلة الوطنية فى دمشق على مذكرته، حيث أبلغته أنها ترى أن يكون المؤتمر عربياً عاماً لا مؤتمراً محلياً خاصاً، يشترك فيه المشتغلون بالقضية العربية فى سوريا ولبنان وفلسطين،

(40)د. ك. و وثائق البلاط الملكى، ملفه رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٦٤، ص ١٨٨.
(41) تأسس الحزب الشيوعى السورى فى عام ١٩٢٨ ـ ١٩٢٩. انظر: ولتسر لاكسور، الاتحاد السوفيتى والشرق الأوسط ترجمة لجنة من الأساتذة، بيروت، ١٩٥٩، ص ٩٧.
(42) د. ك. و وثائق البلاط الملكى، ملفه رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٦٤، ص ١٩٧. نص مذكرة القنصلية العراقية فى بيروت المؤرخة فى ١٩٤١/٨/٩.

ويدعى إليه نورى السعيد ممثلاً عن الحكومة العراقية، وأن يعقد هذا المؤتمر فى صوفر بلبنان[٤٣] إلا أن ذلك لم يتم.

خلال جولته فى أنحاء سوريا فى أب ١٩٤١، اتصل ديغول بالشخصيات السياسية السورية للوقوف على آرائهم حول مستقبل البلاد وحل قضيتها السياسية، فاستقبل فى حماه كل من هاشم الأتاسى[٤٤] رئيس الجمهورية السابق ومظهر أرسلان وهو وزير سابق وتحدث إليهما حول مستقبل البلاد السياسى [٤٥].

ويبدو أن اتجاهات الحلول السياسية للمسألة السورية مالت أول الأمر إلى إعادة هاشم الأتاسى للحكم مرة أخرى، وقد طلب الفرنسيون منه أن يتولى بالفعل رئاسة الحكومة، إلا أنه أصر مع الكتلة الوطنية على إعادة النظام الجمهورى وإلغاء القرارات التى أوقفت العمل بالدستور، إلا أن الفرنسيين اشترطوا بدورهم إلغاء تلك القرارات، وتأجيل الحياة النيابية إلى ما بعد الحرب،

(43) إلا أن ذلك لم يتم.

(44) د. ك. و وثائق البلاط الملكى، ملفه رقم ٧٣٣ - ٣١١، وثيقة رقم ٧٢، ص ٢٦٦، نص مذكرة القنصلية العراقية فى حلب المؤرخة فى ١٩٤١/٧/٢٧.

(45) بما أن الإشارة إلى هاتين المذكرتين فى تقرير القنصلية العراقية فى حلب المؤرخ فى ١٩٤١/٨/٦ (وثيقة رقم ٧٠، ص ٢١٦)، لذلك فإن شكرى القوتلى كان موجوداً فى سوريا خلال هذه الفترة، وعلى الأرجح أنه غادر البلاد إلى السعودية بعد أن رفضت فرنسا وبريطانيا التعاون مع الكتلة وعينت تاج الدين الحسنى رئيساً للجمهورية وهو من الانتدابيين. لذلك يمكن اعتبار ما أوردته باتريك سيل بشأن مغادرة القوتلى لسوريا لم يكن دقيقاً.

وإسناد رئاسة الوزراء لشخصية محايدة على أن تضم أعضاءً يمثلون جميع الفئات السياسية(٤٦)

واصل كاترو اتصالاته مع الأطراف السورية بعد سفر ديغول، وكان الاختلاف واضحاً بين وجهتى النظر الفرنسية والوطنية السورية، حيث عرض كاترو على الأتاسى أن يتولى الحكم، ويعاونه مجلس استشارى يعينه المفوض السامى، فرفض هذا الاقتراح واشترط عودة المجلس النيابى المنتخب، وفى خضم هذه الأحداث حاول جميل مردم الاستفادة من الوضع، فاتفق مع الشيخ تاج الدين الحسنى على العمل سوية من أجل الحكم وقبل ما عرضه كاترو ولكنه رأى أخيراً أن ممثل المفوض السامى فى دمشق يميل إلى أن يتولى الحسنى الرئاسة وأنه لن ينال شيئاً سوى خدمة الحسنى فقط فانسحب من الاتفاق وعاد يقترب إلى الكتلة مرةأخرى. أما أعضاء الكتلة الوطنية الآخرون مثل هاشم الأتاسى وشكرى القوتلى ولطفى الحفار وسعد الله الجابرى وإحسان شريف، فقد كانوا متضامنين بالعمل سوية(٤٧). ويبدو أن الرأى العام فى سوريا لا يرتاح إلى ترشيح تاج الدين الحسنى ويرى فى حالة عدم إسناد الحكم إلى الوطنيين إبقاء حكومة خالد العظم القائمة آنذاك وقد ذكر القنصل العراقى فى

(46) د. ك. و وثائق البلاط الملكى، ملفه رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٧٠، ص ٢١٦.

(47) الدكتور عبد الرحمن الشهبندر (١٨٨٠ ـ ١٩٤٠) سياسى سورى، ولد بدمشق درس بالجامعة الأمريكية فى بيروت عام ١٨٩٦، ثم درس الطب، واشتغل بالتدريس انضم لحركة تركيا الفتاة والهيئة المركزية للاتحاد والترقى، سافر إلى أوربا بعد إعلان الحرب العالمية الأولى ثم إلى مصر، وأصبح وزيراً للخارجية فى حكومة فيصل عام ١٩٢٠، فسافر إلى الولايات المتحدة ثم عاد إلى سوريا وأسس حزب الشعب، أغتيل بدمشق لأسباب سياسية. انظر : الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الثانى، ص ١٠٩٨.

بيروت أن الأوساط البريطانية أخذت تضغط على كاترو لصرف نظره عن الشيخ تاج الدين، عندما رأت نقمة الرأى العام عليه أن هذا التأثير لم يدم إلا لوقت قصير.

* موقف أنصار الملكية :

فى خضم هذه الصراعات انتعشت آمال بعض العناصر السورية من أنصار النظام الملكى، فعادت إلى الحديث عن موضوع (العرش السورى) من خلال الأندية والصحف التابعة لها، ويبدو أن هناك العديد من هؤلاء الطامعين في هذا العرض ، ففى بيروت عبد المجيد بن الشريف على حيدر، ومعه لفيف من أنصاره يعملون من أجل هذه الغاية، لكن تأثيرهم فى الأوساط السياسية والقوى الدولية محدوداً، فضلاً عن أن أملهم فى النجاح ضئيل بسبب ضعف وضعه المالى وقلة أنصاره، أما الأوساط السورية ذات العلاقة بالقنصلية المصرية فى دمشق فهى تعمل من أجل ترشيح الأمير عبد المنعم، وهو من أسرة محمد على الحاكمة فى مصر لهذا العرش، وتبذل فى سبيل ذلك أموالاً طائلة لكسب الأنصار، ومن جهة أخرى يواصل فخرى النشاشيبى اتصالاته بالأوساط السورية لبث الدعوة إلى ترشيح الأمير عبد الله، ويؤكد القنصل العراقى فى مذكراته إلى وزارة الخارجية العراقية على أن الرأى العام الغالب بين دعاة الملكية فى سوريا، يميل إلى الترشيح، الذى يأتى عن طريق العراق أكثر

من غيره[٤٨] حيث كثرت الإشاعات والأحاديث عن أحتمال قيام بريطانيا بدمج سوريا والعراق تحت تاج واحد [٤٩].

وفى كل الأحوال فإن تصورات أنصار الملكية فى سوريا مازالت تحوم فى أجواء ما بعد الحرب العالمية الأولى، غير مدركين أن الظروف العربية والدولية قد تغيرت فى الحرب العالمية الثانية كثيراً عما كانت عليه، وأن قوى اجتماعية وسياسية جديدة مؤثرة فى الساحة السياسية قد ظهرت خلال هذه المرحلة الممتدة ما بين الحربين العالميتين، وأصبح من غير الممكن بالنسبة لبريطانيا وفرنسا تجاهلها، أو إسقاطها من الحساب عند تقرير مصير البلاد السياسى.

كان الناس فى أوائل ١٩٤١، لا يعرفون شيئاً عما يزمع الفرنسيون عمله فى سوريا، كما كان الناس يتساءلون عن مدى سيطرة الفرنسيين على مقاليد الإدارة فى سوريا وقد ترسخت لدى الغالبية العظمى منهم أن الأمور المهمة فى البلاد لا تحل بغير رأى الإنكليز، ومن هنا تأتى المماطلة الفرنسية فى حل القضية السورية لإفهام الناس بأنهم وحدهم أصحاب النفوذ والسلطان فى البلاد، حتى فوجئوا أخيراً بقرار الجنرال كاترو بإعلان استقلال سوريا وتعيين الشيخ

(48) د. ك. و وثائق البلاط الملكى، ملفه رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ١٠، ص ١٦.
(49) د. ك. و وثائق البلاط الملكى، ملفه رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٧٢، ص ٢١٣،نص مذكرة القنصلية العراقية فى حلب بتاريخ ١٩٤١/٧/٣٠.

تاج الدين الحسنى رئيساً للجمهورية [٥٠] ضارباً بعرض الحائط معارضة بريطانيا والقوى السورية الأخرى، وبهذا التعيين تبدأ مرحلة أخرى من الصراعات السياسية فى سوريا.

* استقالة العظم ومجئ جمهورية تاج الدين :

فى النصف الأول من أيلول قدم خالد العظم استقالة حكومته، وقد أبلغ العظم القنصل العراقى فى دمشق بأنه قدم السلطة الفرنسية كتاباً يبلغها فيه بانسحابه من الحكومة احتجاجاً على نشاط واتصالات مندوب المفوض الفرنسى بدمشق الجنرال كوليه فى سبيل قطع المباحثات مع الوطنيين وتوجيه الحلول السياسية نحو تنصيب صديقه الشيخ تاج الدين الحسنى رئيساً للجمهورية.

وذكر القنصل العراقى أنه علم بأن الجنرال كاترو المفوض السامى قرر أن يعهد برئاسة الوزارة إلى واحد من أربعة هم الشيخ كامل القصاب والشيخ عبد القادر الكيلانى وجميل الدهان وبهيج الخطيب.

(50) هاشم الأتاسى (١٩٢٥ - ١٩٦٠): سياسى سورى، ولد بحمص ودرس فى أسطنبول. عمل بالإدارة العثمانية. تولى رئاسة المجلس السورى عام ١٩٢٠. ثم رئاسة القنصلية، ثم رئيساً للمجلس التأسيسى عام ١٩٢٨، انتخب رئيساً للجمهورية عام ١٩٣٦، ثم اعتزل واعيد انتخابه مرة أخرى عام ١٩٥٠، واستقال فى العام التالى، واعيد انتخابه عام ١٩٥٤ حتى حل محله القوتلى عام ١٩٥٥، أنظر: الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول ، ص ٤٤.

ويوضح القنصل العراقي في دمشق أسباب هذه التطورات قائلاً إن المباحثات قد فترت بين الفرنسيين وبين هاشم الأتاسي وإن ما يخشى منه هو تطاحن الهيئات السياسية فيما بينها تطاحناً مؤلماً، كما ذكر أن الجنرال كوليه مندوب المفوض السامي في دمشق هو صديق حميم للشيخ تاج الدين وهو يسعى كثيراً لتمهيد السبل له بهدف الوصول إلى الحكم والظاهر أنه تمكن من إقناع بعض كبار المسئولين الفرنسيين بعدم ملاءمة إرجاع النظام الجمهوري مرة أخرى في ذلك الوقت إلى سوريا كما أقنعهم بتصلب جماعة هاشم الأتاسي في مطالبهم الوطنية إذا ما جيء به إلى منصة رئاسة الجمهورية وتركت له حرية انتقاء الوزراء الذين يعتمد عليهم، وهكذا نجحت محاولة الجنرال كولية وانطلت على الجنرال كاترو الذي تقدم في آخر مقابلة له مع هاشم الأتاسي بشروط ثقيلة عليه الالتزام بها في حالة توليه الحكم في سوريا، منها تبدل نظام رئاسة الجمهورية بنظام رئاسة الدولة، وهذا يعني إلغاء النظام الجمهوري أساساً في سوريا، وإحلال نظام آخر محله لا يحمل أي صفة من صفات الاستقلال وتبيح للفرنسيين التحكم فيه كيفما شاءوا، كما اشترط كاترو تعيين وزراء يتفق عليهم مسبقاً مع الفرنسيين، وكذلك طلب تأجيل إعادة الحياة النيابية إلى ما بعد الحرب، وقد عدّ الأتاسي هذه الشروط نكوصاً من الفرنسيين عما تقدموا به سابقاً فعاد إلى حمص وامتنع عن الاجتماع بأي شخص للبحث في تلك الشروط التي هي في حقيقتها لشروط الحكم في عهد حكومة فيشي في هذه اللحظات الحاسمة تقدم الشيخ تاج الدين مدفوعاً من قبل الجنرال كوليه وعرض

استعداده لاستلام الحكم على وفق تلك الشروط وقد شرع فى إشاعة جو من الثقة بين الأوساط السياسية، فجذب إليه الشيخ كامل القصاب رئيس جمعية العلماء، ومن دعاة بن سعود فى سوريا، وكذلك الكثيرين من أعضاء، الهيئة الشعبية وخصوصاً جماعة جريدة " الأيام" وبعض المستقلين مثل حسن الحكيم وجميل الألفى ومصطفى بريدا وقد اتخذ قرار إسناد منصب رئاسة الجمهورية إليه منذ ١٣ أيلول ١٩٤١، ولم تعلم حكومة خالد العظم بهذا القرار إلا بعد مرور ثلاثة أيام عليه ومما زاد فى الأمر سوءاً أن هناك خلافاً شخصياً بين العظم والحسنى يرجع عهده إلى زمن بعيد، لاسيما وأن حكومة العظم د غطت كثيراً على تاج الدين الحسنى خلال عهد حكومة فيشى فى سوريا، وفرضت عليه الإقامة الجبرية فى بيروت حتى دخول قوات الحلف إليها.

فوجئ الرأى العام السورى بنبأ إعلان استقلال سوريا وتعيين الشيخ تاج الدين الحسنى رئيساً للجمهورية على لسان الجنرال كاترو، ويعلق القنصل العراقى فى بيروت على هذا الحدث قائلاً إن له أسباباً ومقدمات ولم يكن وليد الصدفة ولا هو بالقرار الارتجالى الذى أرتأت السلطات الفرنسية اتخاذه حلاً للقضية السورية من وجهة نظرها وتنفيذاً للوعود التى أطلقها الحلفاء إلى السوريين إذ أن الجنرال ديغول والجنرال كاترو اجتمعا إلى كثير من رجالات سوريا وآخرين من رجالات لبنان معروف عنهم تأثيرهم فى القضايا السياسية السورية مثل الكاردينال تبوندوالبطريرك المارونى . فكانت مداولات مع الأولين، واستشارات مع الأخيرين، وقد صحب ذلك اتصالات واجتماعات ودعايات

مختلفة وكان الناس يعتقدون أن السلطات الفرنسية الديغولية ستستفيد من التجارب الماضية فلا تعيد تكرار الأحداث، وأنها لكى تستفيد من دعم سوريا فى الحرب يجب عليها أن تأتى إلى الحكم بأناس يرضى بهم الشعب إجماعاً أو أكثرية، وعلى الأقل أن تعيد المجموعة التى كانت تتولى الحكم قبل الحرب وقبل إلغاء الجمهورية بصفتها مجموعة منتخبة من قبل الشعب السورى وأنها ستلجأ إلى إجراء انتخابات جديدة، ومما زاد من هذه التوقعات الاتصالات الكثيرة التى أجراها الجنرال كاترو مع هاشم الأتاس، والتى اشترط فيها الأتاسى إعادة الوضع الدستورى المشروع كما كان، ثم تعديله حسب ما تقتضيه الظروف بعد ذلك، وبطرق دستورية مشروعة وأعقب ذلك ركوداً لبضعة أيام ثم إذا بالناس يتفاجأون ببيان الجنرال كاترو الذى لم ير إجابة مطالب هاشم الأتاسى والوطنيين السوريين فى إعادة الوضع الدستورى السابق باعتبار أن الزمن قد تغير وأن ليس من مصلحة فرنسا الحر أن تتازل عن سلطات مهمة لرجال الحكم الوطنيين فى سوريا وأن الأتاسى اشترط العودة إلى الحكم تنفيذ شروط معينة فكان لزاماً على الفرنسيين أن ينصرفوا عنه، فاختار الفرنسيون تاج الدين نظراً لصداقته القديمة لفرنسا ويبدو أنه تعهد لفرنسا بتأليف حكومة ائتلافية عن انصياعه التام لأوامر فرنسا الشرط الى لا يتوفر فى غيره من الرجال أن هذا التعيين لم يلق الرضا والقبول فى سوريا وقد خشى الوطنيون السوريون أن يستغل تاج الدين ظروف الحرب فيبطش بخصومه بلا

رادع ولا رقيب، كما أن تعيينه أضاع فرصة استفادة سوريا من شروط معاهدة ١٩٣٦ لصالح سوريا.

* موقف السوريين من جمهورية تاج الدين :

لقد قابلت أكثر الأوساط الوطنيه والشعب السورى هذه الإجراءات بوجوم واستياء كبير ورأت فيها عدم صدق الفرنسيين فى نياتهم نحو هذه البلاد وجاءت برهاناً على سوء نواياهم تجاه سوريا مهما اختلفت أشكالهم سواء كانت فيشية أو ديغولية، وأن لا خير يرجى لهذه البلاد ما دام الفرنسيون يتحكمون بها، وأكد القنصل العراقى أن آمال أنصار الملكية انتعشت مجدداً وأن عدداً من كبار السياسيين السوريين صاروا يجاهرون بتجنيدهم للملكية نظراً لثباتها والاستقرار الذى أوجدوه وهم يعلمون أن الإنكليز يريدون النظام الملكى لهذه البلاد، ولكن خوف الإنكليز من أغضاب حركة فرنسا الحرة هو الذى جعلهم ينتظرون آنذاك حتى تحين الفرصة المناسبة لذلك وأن الاسئلة التى تداولها أنصار الملكية آنذاك هى من هو إلا صلح لملكية هذه البلاد الأمير عبد الله أم الأمير عبد الإله لذلك أيضاً إذا مالت إليه أكثرية الشعب السورى. وهل سيؤثر ذلك الأمير عبد الله. وهل تنضم سوريا إلى العراق فى حالة تولى الأمير عبد الإله لعرشها. وهل تنضم إلى شرقى الأردن فى حالة تولى الأمير عبد الإله لعرشها. وهل تنضم إلى شرقى الأردن فى حالة تولى الأمير عبد الله لعرشها. وقد خلص القنصل العراقى إلى القول أن هذه الأفكار والمناقشات تدل على أن

البلاد خالصة على النظام الملكى وأن الحوادث تهيئ الأجواء لذلك ولم تكن هذه التوقعات سوى آمال ذهبت إدراج الرياح مع تطور الأحداث فى سوريا فى المراحل اللاحقة.

ومثلما كان متوقعاً فقد أثبتت الأحداث أن تعيين تاج الدين رئيساً للجمهورية هو خطوة فرنسية ليست محسوبة فى الاتجاه الصحيح، وتنم عن نظرة رجعية استعمارية ممقوتة من قبل الشعب السورى، لذلك وبعد أيام قليلة من قيام هذه الجمهورية عادت الحركات المعادية للفرنسيين مرة أخرى للظهور فى منطقة الجزيرة ودير الزور. وقد انتقل وزير الداخلية السورى بالطائرة إلى تلك المنطقة لتهدئة الحالة هناك، وقد تزامن ذلك مع ظهور بوادر انتفاضة جديدة أخرى فى منطقة حوران حيث توقفت حركة السيارات إلى تلك المنطقة بسبب الأعمال المناوئة للحكومة، ولم تهدأ الحالة فى الجزيرة ودير الزور إلا بعد إجبار رمضان شلاش على الإقامة الجبرية فى بيروت، وقد توقف القتال بعد أن تم تعيين ضابط ارتباط بريطانى فى تلك المنطقة ويدلل هذا الإجراء على مدى تأثير البريطانيين فى الأحداث الجارية هناك آذاك.

أشار تقرير القنصل العراقى فى دمشق إلى تأثير هذه الحركة فى دمشق كان كبيراً جداً سواء لدى الشعب أو لدى رجال العهد الجديد، إذ ظهرت للجميع قوة الدعاية للأمير عبد الله فى هذه البلاد، وشدة بغضهم للفرنسيين سواء كانوا فيشيين أو ديغوليين، وكانت هذه الدعاية تضايق كثيراً رجال الحكم الجديد،

واتهم بعضهم الإنكليز بتغذيتها وإسناد تنفيذها (كلوب باشا) إلى الحد الذى دفع تاج الدين إلى أن يبعث برسالة إلى الأمير عبد الله، يخبره فيها بأنه يعد نفسه من أعوانه والداعين له فى سوريا وأنه مستعد أن يتنازل عن منصبه فى اللحظة التى تتم فيها مسألة تنصيبه ملكاً على البلاد السورية، ويدلل على صدق تاج الدين فى ذلك اعتماده على وزارة أكثر أعضائها من الشهبندريين المعروفين بالتفاهم حول الأمير عبد الله.

وتأكيداً لهذا الاتجاه الداعى إلى الملكية فى سوريا بعثت القنصلية العراقية بقصاصة تتضمن فقرة من المقال الذى نشرته جريدة (ألف باء) لسان حال دعاة الملكية الهاشمية فى سوريا، والذى أجيز من قبل الرقابة البريطانية المفروضة على الصحف فى سوريا، بالرغم مما احتواه من تلميح وتصريح بعدم الثقة بالنظام الجمهورى ودعوة إلى النظام الملكى. الأمر الذى يعكس بدوره موقف الانكليز أنفسهم من النظام الجديد وموقفهم من مستقبل البلاد، وقد جاء فيه " إن ما ترجوه الأمة من الحلفاء بعد انتصارهم فى هذه الحرب، وهم سينتصرون بإذن الله، هو أن لا يفرض هذا الحديث الجديد (إعلان الجمهورية) عليها فرضا، يؤخذ رأيها فى الأمر عندما تخفق راية السلام فى العالم، لأن مصلحة هذه الأمة الحقيقة هى فى نوع الحكم المالكى الذى تهفو نفوسنا إليه، والذى وحده يصلح أن يكون للجامعة العربية التى هى أمنية الجميع".

وفى هذا الإطار أيضاً. بعث الشيخ تاج الدين الحسنى، رئيس الجمهورية السورية، بأحد الذين يثق بهم إلى القنصلية العراقية العامة فى دمشق ليبلغها أن هناك من يعمل ضد تاج الدين فى الشمال وفى حوران مثل رمضان شلاش وغيره، وأنه يعتب على أن هؤلاء ممن يعتصم بالعائلة الهاشمية ويرجو أن يردعوا، وقال المبعوث عن لسانه أن جاهز للانضواء تحت لواء الأمراء الهاشميين إذ كان هناك عمل جدى لتوليه عرش سوريا سواء كان الأمير عبد الإله أو الأمير عبد الله أو الأمير زيد، وهو مستعد للتعاون مع أى كان من الهاشميين " ومتنازل منذ الآن عن رئاسة الجمهورية ومستعد لتأليف وزارة أو إشغال أى وظيفة كانت تحت لوائهم، وأنه إنما جاء الآن إلى الحكم وفى هذه الظروف العصيبة، لا ليعادى العائلة الهاشمية" وطلب الشيخ تاج الدين من القنصل العراقى إبلاغ ذلك إلى حكومته والمسئولين فيها، ومما يثير الانتباه فى هذا الحديث هو اتهامه لرمضان شلاش بالعمل لصالح الهاشميين فهل يعنى ذلك أنه كان يتحرك بإيعاز من الأمير عبد الله ويدعم من " كلوب باشا" لتقويض النفوذ الفرنسى فى سوريا.

* الموقف العربى من جمهورية تاج الدين :

كانت الحكومة المصرية أول حكومة عربية بل أول دولة فى العالم تعترف باستقلال سوريا حال إعلانه، حيث بعث وزير الخارجية المصرى ببرقية إلى وزير الخارجية السورى يهنئه بإعلان استقلال البلاد، وقد أعقب ذلك

إرسال تأكيداً رسمياً مصرياً بهذا الاعتراف قدمه قنصل مصر العام إلى فايز الخورى وزير خارجية سوريا، وقد جاء فيه " لقد كلفتنى حكومة جلالة ملك مصر، أن أقوم بإبلاغ معاليكم اعترافها الرسمى باستقلال سوريا وتقديرها للعواطف التى أبديتموها، وأنها تلقت بسرور نبأ تأسيس وزارة الشئون الخارجية السورية وتسلمها للسلطات التى تمكنها من المشاركة فى البعث القومى، وأحكام الأواصر الأخوية التى تربط فيها بين البلاد العربية وأقطارها، وإقامة صرح من الصداقة المخلصة والود الدائم وأنى إذ أكرر أخلص التهانى لمعاليكم وللأمة السورية المجيدة التى تربطها بنا روابط اللغة والثقافة وذكريات التاريخ المشترك، أود أن أعبر لمعاليكم عن أصدق تمنيات مصر نحو شقيقتها سوريا المستقلة ورغبتها فى التعاون معها على تنمية أحسن العلائق وتوثيق أواصر المودة والإخاء بينهما.. " وقد علق القنصل العراقى فى دمشق على هذه الخطوة المصرية قائلاً: إن بعض الظروف التى لابست هذه السرعة التى أبدتها مصر بالاعتراف بالوضع الجديد فى سوريا، وحسبما أشيع أنذاك أن بعض الدوائر السورية المختصة وبتأثير من الشيخ تاج الدين الحسنى، أوقفت إجراءات تصدير ثمانية عشر ألف طن من البطاطا كانت القنصلية المصرية فى دمشق قد توسطت لشرائها من سوريا لصالح مصر، الأمر الذى دعى قنصل مصر فى بيروت إلى السفر جواً إلى القاهرة لإقناع حكومته بالاعتراف بالوضع الجديد فى سوريا، من أجل تسهيل أمر تصدير تلك الكمية من البطاطا، وقد وافقت دائرة الإعاشة السورية على تصديرها بالفعل بعد أن تم الاعتراف بالنظام

الجديد، مقابل استيراد كمية تعادلها من الأرز المصرى إلى سوريا، وقد قام قناصل كل من انجلترا والعراق وتركيا وإيران والمملكة العربية السعودية، بزيارات إلى كل من رئيس الجمهورية وإلى وزير الخارجية السورى لتقديم التهانى بمناسبة استقلال سوريا بصفتهم الشخصية لا الرسمية، دون أن يعنى ذلك اعترافاً رسمياً من قبل تلك الدول فى النظام الجديد(٥١).

أما فيما يتعلق بموقف العراق من النظام الجديد فى سوريا، فقد اتسم بالتردد واللامبالاة أول الأمر، مما دفع برئيس الجمهورية السورية تاج الدين إلى أن يبعث برسول إلى القنصلية العراقية العامة فى حلب يبلغها عتبه على هذا الموقف، وليوضح لها بأنه يستغرب عدم اعتراف الحكومة العراقية باستقلال سوريا حتى الآن، كما أنه بعث ببرقية معايدة إلى الأمير عبد الإله الوصى على العرش بصورة رسمية، فلم يجب عليها إلا بصورة شخصية وبعد فوات الوقت عليها، بينما يعد نفسه رجل العائلة الهاشمية لأنه من الذين انضوا تحت لواء الملك فيصل الأول وكان لوالده علاقة وثيقة بالملك نفسه(٥٢).

وفى زيارة خاصة قام بها القنصل العراقى العام فى دمشق إلى وزير الخارجية السورى فايز الخورى، ذكر الأخير " أنه وأخوانه كانوا يودون أن

(51) د. ك. و وثائق البلاط الملكى، ملفه رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٦٤، ص ١٨٧. نص مذكرة القنصلية العراقية فى بيروت بتاريخ ١٩٤١/٨/١١.

(52) د. ك. و وثائق البلاط الملكى، ملفه رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٦٤، ص ١٩٧، نص مذكرة وزارة الخارجية العراقية المؤرخة فى ١٩٤١/٩/١٤ إلى رئاسة الديوان الملكى.

يكون العراق أول الدول التى تعترف بهذا الاستقلال الذى ضمنته الحكومة البريطانية، وعسى أن لا يكون وجود بعض الرجال الذين ربما وجدوا بين رجالات العراق من لا يرحب بوجودهم فى سوريا أثر فى تأخير الحكومة العراقية باستقلال شقيقتها سوريا، إذ أن الرجال يأتون ويذهبون ثم يأتى غيرهم والمهم هو الأساس وهو الاستقلال . أما الشكل أو رجاله فشيئان زائلان " وقد رد القنصل على ذلك نؤكد " أن العراق عمل ويعمل دائماً بكل سرور لاستقلال سوريا وإننا نحن العراقيون حكومة وشعباً يسرنا كثيراً ويثلج أفئدتنا كل خير تناله هذه البلاد الشقيقة" وذكره بآخر عمل قام به العراق سعياً لاستقلال سوريا والمتمثل في المذكرة التى قدمتها الخارجية العراقية بالرغم من أنه مر خلال تلك المدة بأزمة وزارية أشغلته أياماً، وأن تقرير الاعتراف بشئ يستلزم دراسة الأساس وأن تلك الدراسة لا تتم في أيام قليلة، وقد بين فايز الخورى فى هذا اللقاء بأنه أرسل برقية تهنئة إلى وكيل وزارة الخارجية العراقية وقد مضى على ذلك أكثر من أسبوع دون أن يتسلم الرد عليها، فرد عليه القنصل العام قائلاً إن السبب فى ذلك قد يعود إلى عدم انتظام إرسال البرقيات بين سوريا والعراق وهو أمر يحدث دائماً بالنسبة للقنصلية فى مراسلاتها مع الخارجية العراقية كما بين له هذه التهنئة ليست شخصية وإنما رسمية أيضاً والإجابة عليها يتطلب الاعتراف الرسمى بالوضع الجديد فى سوريا هو الأمر الذى لم يحدث حتى

الآن فاقتنع الخورى بهذا الرد وعبر عن أمله بأن لا يتأخر هذا الاعتراف كثيراً، نظراً لما يأمله الجميع به من القوة التى تكسب هذا الاستقلال(٥٣).

كان من الطبيعي أن يلقى استقلال سوريا ترددا واضحاً من قبل العراق وبقية الأقطار العربية وذلك للأسباب الآتية:

١. أن هذا الاستقلال أعلن من جانب واحد وهو الجانب الفرنسى المتمثل بالجنرال كاترو والذى يمثل حركة فرنسا الحرة، وهى جهة لا تحمل الصفة الشرعية الدولة ولم تعترف لها دول العالم كحكومة مستقلة، فضلاً عن ذلك فإن الإعلان سيفقد قيمته فيما لو انتصرت دول المحور وعادت حكومة فيشى إلى سوريا مرة أخرى.

٢ـ أن هذا الاستقلال لم يوثق بشكل معاهدة دولية بين الطرفين تبين حقوق والتزامات كل طرف فيها، ولم يمثل السوريون عبر ممثليهم المنتخبين للتفاوض بشأن هذا الأستقلال وأن المفاوضات التى تمت مع هذه العناصر بالفعل قد انتهت إلى الفشل، لذلك فقد استقبل الشعب السورى هذا الاستقلال ببرود وعدم اهتمام وبعدم الرضا والقبول.

٣ـ أن العناصر التى اختارها الفرنسيون لحكم البلاد فى ظل هذا الاستقلال هم من العناصر الموالية لفرنسا، لذلك فإن التعامل معهمكان موضع شك وتردد من قبل الأقطار العربية ومنها العراق، ولاسميا المتحالفة مع

(53) د. ك. و وثائق البلاط الملكى، ملفه رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٤٩، ص ١٢٧

بريطانيا، وفوق هذا وذاك فإن هذا الاستقلال جاء مشروطاً بشروط فرنسية قاسية جعل منه حالة شكلية فقط، أما فى الحقيقة فإن سوريا لم تتخلص بشكل نهائى من التبعية إلى فرنسا.

* موقف بريطانيا من تاج الدين :

أكد القنصل العراق فى بيروت أن تعيين تاج الدين لاقى فى بادئ الأمر معارضة من الجانب البريطانى، فقد قيل إنه كان من المقرر تعيينه خلال زيارة الجنرال ديغول إلى سوريا إلا أن عدل عنه نتيجة لإلحاح الجانب البريطانى ثم رجع إليه أخيراً فكان ذلك انتصاراً للسياسة الفرنسية على السياسة البريطانية . الأمر الذى زاد من الخلاف بينهما كما أن هذا التعيين لقى المعارضة أيضاً من قبل بعض العناصر الفرنسية الديغولية مثل المسيو ليبيسيه وغيره من كبار الموظفين المدنيين الذين كانوا يرون ضرورة الوفاء لسوريا ولبنان بتعهدات الحلفاء وفاءً صادقاً يمنح البلاد استقلالها والمجيء إلى الحكم بممثلين حقيقيين للشعب ولكن نفوذ العسكريين حال دون ذلك كما دون إجابة طلبات رجال السياسة المدنيين والأخذ بنصائحهم(٥٤)

أما القنصل العراقى فى دمشق فقد تحدث عن موقف البريطانيين من هذه الأحداث قائلاً: أن كبار السياسة فى سوريا أخذوا يجاهرون بأن البريطانيين يتعمدون ترك الفرنسيين سائرين فى إجراءاتهم هذه التى ستجلب

(54) كان غلوب باشا قائداً للجيش الأردنى، وهو الذى يقف خلف هذه الدعاية وقد أرسلت الحكومة البريطانية المستر ليتلون إلى الأمير عبد الله لكى يوضح له أنه ليس من سياسة بريطانيا تعيينه ملكاً على بريطانيا، انظر: جفرى ورنر، العراق وسوريا عام ١٩٤١، ترجمة د. محمد مظفر الأدهمى، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٨٦، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٧.

عليهم نقمة البلاد واستيائها، حينذاك يلتفت السوريون بقوة نحو بريطانيا طالبين منها تخليصهم من أولئك الذين يسيئون إليهم، بعد أن يثبت الفرنسيون الديغوليون فشلهم فى إدارة البلاد، فيضطرون إلى إيداع أمرها للبريطانيين وبعد أن يزهد أهل البلاد بهذا الإشكال من الحكم والتى تثبت عدم ضمانها للاستقرار الذى تنشده البلاد، وحينئذ يتجه الإنكليز بالبلاد نحو الملكية التى يناصرونها(٥٥).

يشير القنصل العراقى فى دمشق إلى أن الرأى الشائع فى سوريا، أن موقف الإنكليز من الفرنسيين آنذاك اتسم بعدم الاطمئنان إلى السياسة التى ينتهجونها فى حكم هذه البلاد، خصوصاً بعد أن صارت حركات الامتعاض من الفرنسيين تظهر صراحة بين جميع الأوساط السياسية وأفراد الشعب السورى، وقد أوعزت السلطات الإنكليزية المختصة إلى وحدات الجيش الفرنسى فى سوريا ولبنان، أن تكون متأهبة للالتحاق بجبهة القتال فى ليبيا خلال الأسبوع الأول من تشرين الثانى ومن مظاهر استيائهم من سياسة الفرنسيين فى سوريا أنهم أبعدوا بعض المسئولين البريطانيين العاملين فى سوريا ممن ساندوا السياسة الفرنسية وشجعوها، ومنهم الكولونيل كاردنر الضابط السياسى البريطانى فى سوريا الذى نقل إلى بيروت لكونه من أصدقاء الجنرال كاترو والجنرال كوليه وأدى دوراً مهماً فى إبعاد العناصر السورية وإحباط المفاوضات بين كاترو والأتاسى فى أب وأوائل أيلول ١٩٤١، وهو أيضاً من أصدقاء

(55) د . ك. و وثائق البلاط الملكى، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٥٢، ص ١٣٢. نص مذكرة القنصلية العراقية فى بيروت بتاريخ ١٩٤١/٩/١١.

الشيخ تاج الدين الحسنى، وقد فسر إبعاد كاردنر عن سوريا بأنه تعبيراً عن رفض بريطانيا ومعارضتها للسياسة الفرنسية(٥٦)

فسرت الحكومة السورية برقية التهنئة التى بعثها ملك إنكلترا فى ٢٧ تشرين الأول ١٩٤١ إلى الشيخ تاج الدين، على أنها اعتراف رسمى بالنظام الجديد وقد جاء فيها:" صاحب الفخامة الشيخ تاج الدين الحسنى رئيس الجمهورية السورية دمشق تسارى لى بمزيد من السرور نبأ إعلان استقلال سوريا فى السابع والعشرين من أيلول ١٩٤١، وتسلمكم لمنصب رئاسة الجمهورية السورية الرفيع . وبهذه المناسبة التى تبعث التفاؤل فى النفس، أرسل لكم تهانيّ الحارة وأصدق تمنياتى أن ترفلوا فى سعادة وصحة وفيرتين وأن من أقصى أمانيّ أن تزداد الصلات الودية بين بلدينا توثيقاً وارتباطاً وذلك لمصلحتها المشتركة ولتحقيق المبادئ السلمية التى يدينان بها " ومن الواضح أن هذه البرقية تحمل تفسيرات عدة، منها هى أنها برقية مجاملة بروتوكولية دبلوماسية متعارف عليها فى هذه المناسبات لايمكن أن تعبر عن الموقف الحقيقى لتلك الدولة وعن سياستها تجاه ذلك القطر: وقد فرضتها أصول المجاملة فى العلاقات بين الدولتين الحليفتين بريطانيا وفرنسا. أما التفسير الثانى فإن بريطانيا وجدت فى إعلان فرنسا لاستقلال سوريا فرصة لتعزيز هذا الاستقلال دولياً حتى تضطر فرنسا إلى الالتزام به وعدم التراجع عنه تحت ضغط الظروف، وربما وجدت بريطانيا فى هذا الاستقرار وسيلة لاستقرار

(56) عن هذا الموضوع راجع الهامش رقم (١٤).

الأوضاع الداخلية فى سوريا ليتسنى لها مواجهة الأحداث فى الأماكن الأكثر تعرضاً للخطر الألمانى، كما يمكن القول أيضاً أن بريطانيا وجدت فى هذا الاستقلال خطوة إلى الأمام على طريق تصفية النفوذ الفرنسى فى سوريا، وربما كانت هذه التفسيرات حاضرة كلها فى ذهن الحكومة البريطانية عندما اتخذت تلك الخطوة، وعلى هذا الصعيد أكد رئيس الجمهورية السورية فى حفل أقيم فى ٢٨ أيلول ١٩٤١، أن هذه البرقية هى اعتراف رسمى من الحكومة البريطانية بالوضع الجديد فى سوريا وكانت الحكومة البريطانية قد أبلغت الحكومة الأمريكية مسبقاً بهذا القرار طالبة منها أن تحذو حذوها فى ذلك، كما أن الحكومة البريطانية كانت بصدد إقامة علاقات دبلوماسية رسمية بين لندن ودمشق وتعين وزير مفوض بريطانى فى العاصمة السورية، لذلك تم إبلاغ حكومة دمشق أن بعثة رسمية ستصل إلى دمشق برئاسة الجنرال سميرس لإبلاغ رئيس الجمهورية السورية اعتراف الحكومة البريطانية باستقلال سوريا، وقد وصلت تلك البعثة فى ٢٩ تشرين الأول ١٩٤١ وهى تتألف من الجنرال سميرس المندوب البريطانى العام فى سوريا ولبنانوالكولونيل أوستن رئيس أركان حرب الجيش البريطانى فى سوريا ولبنان، ونائب الاميرال مورس قائد الأسطول البريطانى سوريا،والمستر جون هملتون المستشار السياسى للجنرال سميرس وقد استقبل هذه البعثة استقبالاً رسمياً حافلاً عند حضورها إلى القصر الجمهورى حيث ألقى الجنرال سميرس كلمة أمام الرئيس تاج الدين جاء فيها يا فخامة الرئيس ... لى الشرف أن أحمل لفخامتكم أخلص تهانى حكومة

صاحب الجلالة بمناسبة استقلال سوريا، هذا الحدث الذى ألمحت إليه جليا البرقية التى وجهها لكم أمس جلالة الملك جورج، أن هذه البرقية هى بمثابة اعتراف رسمى من قبل حكومة صاحب الجلالة البريطانية باستقلال الدولة السورية الجديدة ضمن نطاق تصريح الجنرال كاترو الذى أذاعه فى تاريخ ٢٧ أيلول ١٩٤١، ونحن مغتبطون يا سيدى بأن أهنئكم باضطلاعكم بمهام الدولة العليا وأتمنى لفخامتكم ولمعالى الوزراء المحيطين بكم الذى اضطلعوا بالعبء الثقيل فى إدارة البلاد الجميلة العظيمة كل الرفاهية والازدهار الممكنين، واسمحوا لى أيضاً أن أعرب لكم عن تقدير واعتراف مواطنى بلدى جميع مواطنيكم لذلك الاستقبال الأخوى الذى تفضل مواطنوكم بتقديمه لنا " لتحيى سوريا مستقلة" وقد أجاب الشيخ تاج الدين على هذه الكلمة قائلاً: حضرة الجنرال ... إنى مغتبط جداً بزيارتكم هذه التى جاءت عقب البرقية التى أرد حضرة صاحب الجلالة الملك الإمبراطور العظيم إتحافى بها شخصيا، فضاعفت سرورى وامتنانى فأتقدم إليكم يا حضرة الجنرال بالشكر الجزيل على هذا العطف السامى الذى تقدره سوريا قدره وتحتفظ به لا فى السجلات الرسمية فقط بل فى طيات القلوب فيسجلها كل فرد من السوريين فى صحيفة فؤاده، يا حضرة الجنرال .. إن اعتراف الحكومة البريطانية باستقلال البلاد السورية التى قلب العرب النابض ترك أحسن الأثر لا فى سوريا وحدها وفى بلاد العرب أيضاً بل لدى الإنسانية جميعاً، إن أهدافنا المشتركة وآمالنا الموحدة التى تستهدف خير العالم وإنقاذه تجعلنا أصدقاء أوفياء لحلفائنا الذين أخذوا على

عاتقهم هذه المهمة الخطيرة. وسترون من حلفائكم العرب وخاصة السوريين العرفان بالجميل مقابل عملكم هذا وأنى لأرجو أن ترفعوا إلى صاحب الجلالة الملك الإمبراطور تشكراتى وتشكرات حكومتى وبلادى، فهم لا ينسون الجميل أبداً، إن هذا اليوم هو يوم تاريخى خالد لبلادى ولكم ولحلفائكم الفرنسيين الأحرار الذين ربطوا مصيرهم فى الدفاع عن الحرية .. سيدى الجنرال .. إن العلاقات بين سوريا وبريطانيا لا تقتصر على المعاملات الرسمية بل هى ارتباط قلبى وثيق بيننا والأرتباط القلبى يدون ويخلد إلى الأبد"(٥٧).

لقد أرسلت برقية ملك إنكلترا وبعثة الجنرال سميرس أسس الموقف البريطانى من قضية استقلال سوريا، والتى كانت بريطانيا ترقبها عن كثب فكانت سباقة لتكريس هذا الاستقلال سياسياً من خلال برقية ملك إنكلترا وبعثة سميرس، وعمليا من خلال اتخاذ الترتيبات لإخلاء سوريا من جيش الاحتلال الفرنسى بطريقة لا تثير غضب فرنسا الحرة ولا تلفت أنظارها إلى الهدف، فعلى هذا الصعيد أبلغ كبار المسئولين فى دار المندوبة الفرنسية القنصل العام فى دمشق فى ٢٦ تشرين الثانى ١٩٤١، بأن السلطات المحلية قد أبلغت بأن حوالى مئ[illegible] جندى بريطانى سيصلون إلى سوريا فى القريب العاجل وقد ابتدأت السلط[illegible] تهيئ لهم محلات السكن والمعسكرات اللازمة وأفرغت بعض الفنادق والمبانى لهذا الغرض، كما أبلغت بأن دمشق ستكون مركزاً لقيادة الجيوش البريطانية فى هذه البلاد، وأن أهم المناطق التى ستحشد فيها هذه

(57) د. ك. و وثائق البلاط الملكى/ ملف رقم ٧٣٣ - ٣١١، وثيقة رقم ٤٦، ص ١١٠ - ١١١.

القوات هى المنطقة الشمالية من سوريا، وفى الوقت نفسه كانت السلطات البريطانية تسعى إلى إفراغ سوريا من القوات الفرنسية والقوات السورية الموالية لها، فأرسل قسم كبير من الفرقة السورية الملتحقة بجيش فرنسا الحرة إلى جبهة ليبيا مع الاستمرار فى تسفير المتطوعين السوريين فى الفرقة المذكورة إلى تلك الجبهة، كما أرسل عدد كبير من القوات الفرنسية إلى جبهة ليبيا وأفريقيا الوسطى، وقد عارض بعض الفرنسيين إرسال تلك القوات إلى تلك الجبهة وقد تمرد بعض أفراد تلك القوات على هذه الأوامر لاسيما ضباط الفرقة المراكشية فى سوريا ولبنان الذين رفضوا الذهاب إلى جبهة القتال فى ليبيا[٥٨] والسؤال الذى تثيره هذه الإجراءات هل لأنها مقصودة من قبل القيادة البريطانية ؟ وهل كانت هناك أهداف سياسية تختفى خلف هذه الإجراءات؟

(٥٨) د. ك . و وثائق البلاط الملكى، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١ وثيقة رقم ٤١، ص ٩٦. تقرير القنصلية العراقية العامة فى دمشق بتاريخ ١٥ أيلول ١٩٤١.

الخاتمة

انطوت هذه الدراسة على حقائق تاريخية جديدة مستقاة من مصادرها الوثائقية الاصلية كشفت بما لا يقبل الشك عن مواقف بعض القوى السياسية والأجتماعية السورية من الاحتلال البريطانى لسوريا عام ١٩٤١، ولا غرو أن نقول إنها تمثل جانباً من الرأى العام السورى بعناصره الحزبية والعشائرية والدينية والسياسية.

وقد اتضح من خلالها أن هذه العناصر تمثلت فيما يأتى:

١- المجندين السوريين فى صفوف قوات فيشى فى سوريا التى استخدمتهم دروعاً أمامية لتلقى ضربات الجيش البريطانى والفرنسى (الديغولى) مما أدخل فى روعهم أن الأجانب مهما كانوا لا يقيمون لهم وزناً ولا يأبهون بحياتهم ففرروا الابتعاد عن مثل هذه التحالفات غير المتكافئة الأمر الذى جعل من بريطانيا تعانى من صعوبة تجنيدهم مرة أخرى فى صفوف قواتها.

٢- المسيحيين السوريين الذين أخافتهم الشائعات التى تكثر فيمثل تلك الظروف والتى تغذى عادة من القوى الأجنبية بهدف زرع الشقاق والفرقة فأخذوا يعيدون النظر فى نصوص معاهدة ١٩٣٦ للبحث فيها عما يضمن حقوق الأقليات فى سوريا أو إجبار البريطانيين على إضافة ملحق خاص بذلك لهذه المعاهدة كما أنهم توجسوا خيفة من تلك الإشاعات التى سرت فى البلاد بشأن إقامة نظام ملكى فى سوريا أو ضمها إلى الممالك العربية المجاورة الأمر الذى أرعبهم بلا مبرر وعارضوا على الدوام.

٣ـ الطائفة اليهودية التى حاولت العوم مع التيار وانتهاز فرصة وجود حلفائهم البريطانيين فى سوريا من أجل توسيع نشاطهم الصهيونى وتأسيس جمعيات صهيونية لهذا الغرض.

٤. السوريين الموالين لفرنسا (الانتدابيين) الذين دعوا إلى التعاون مع فرنسا قيد أو شرط وطالبوا بتعزيز العلاقات معها دون الأخذ بنظرات الاعتبار مستقبل بلادهم السياسى.

٥ـ عشيرة عنزة فى منطقة دير الزور التى كانت ترحب بكل قادم جديد تمالى الفرنسيين الفيشيين فلما أفل نجمهم مالت إلى نجم البريطانيين الصاعد فاحتفل رئيسها محجم بن مهيد بهم نيابة عن عشيرته معلناً ولاءه التام لهم.

٦ـ السوريين الموالين للمحور (النازيين) وهم نوعان: الأول عملاء ألمانيا النازية الذين هم أدوات مسخرة بيد الألمان، وقد فر معظمهم إلى ألمانيا بعد دخول البريطانيين لها، وهم قلة قليلة من السوريين لا تزيد عن أصابع اليد الواحدة، أما النوع الثانى فهم القوميون السوريون الذين مالوا إلى التعاون مع ألمانيا بدافع العداء المشترك لفرنسا ولم يتخوف البريطانيون من شيء فى سوريا بقدر تخوفهم من هذه الفئة مثلما ورد فى الحديث الذى دار فى بيروت بين القنصل العراقى وضابط المخابرات البريطانى دى كورى.

٧ـ الكتلة الوطنية التى انقسمت على نفسها بين مؤيد ومعارض لفكرة التعاون مع الاحتلال البريطانى فوجد بعضهم فى مثل هذا الاحتلال فرصة للاستفادة منه فى معادلة السيطرة الفرنسية وإن كسب بريطانيا إلى صفهم سيسهل عملية

حصول سوريا ما هو إلا وجود مؤقت، وأن فرنسا لا تلبث أن تعود لمسك زمام الأمور فى البلاد وأن مصلحة تقضى التقرب من فرنسا وليس بريطانيا.

٨ـ العناصر الموالية للملكية والتى نشطت فى الدعاية لهذا المرشح أو ذاك لعرش سوريا المرتقب، إلا أن أحلامهم هذه سرعان ما تبددت بعد أن صرف البريطانيون النظر مثل هذه الخطورة.

٩ـ الحزب الشيوعى السورى الذى اتخذ موقفاً مناقضاً لعقيدته السياسة التى كانت تدعو إلى مكافحة الاستعمار، وتبنى موقفاً تبعيا للموقف البريطانى، فأبدى استعداده للتعون مع الاحتلال البريطانى الذى تجدد نشاطه بعض الشيء فى ظله بعد أن أنعشه النازيون متذرعاً بالتحالف الدولى بين بريطانيا والاتحاد السوفيتى ضد ألمانيا وإيطاليا.

وهكذا يمكن القول أن أنقسام فرنسا على نفسها ومجيء بريطانيا إلى سوريا عام ١٩٤١ بوزن عسكرى كبير نسبياً جعلها فى موضع المنافس لفرنسا فى هذا القطر الأمر الذى كان له أثره الكبير فى ظهور تيارات ومواقف متباينة ومتناقضة للقوى الاجتماعية والسياسية السورية.

المصادر والمراجع

أولا: الوثائق:

- دار الكتب والوثائق (د.ك.و) بغداد، وثائق البلاط الملكي، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ١٠، ص ١٦.
- د. ك. و. وثائق البلاط الملكي، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٢٠، ص ٢٢٠.
- د. ك. و وثائق البلاط الملكي، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٢٧، ص ٢٣٤.
- د. ك . و وثائق البلاط الملكي، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١ وثيقة رقم ٤١، ص ٩٦. تقرير القنصلية العراقية العامة في دمشق بتاريخ ١٥ أيلول ١٩٤١.
- د. ك. و وثائق البلاط الملكي/ ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٤٦، ص ١١٠ ـ ١١١.
- د. ك. و وثائق البلاط الملكي، ملفه رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٤٩، ص ١٢٧
- د . ك. و وثائق البلاط الملكي، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٥٢، ص ١٣٢. نص مذكرة القنصلية العراقية في بيروت بتاريخ ١٩٤١/٩/١١.
- د.ك.و. وثائق البلاط الملكي، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٦٠، ص ١٧٥.
- د. ك. و وثائق البلاط الملكي، ملفه رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٦٤، ص ١٩٧.، مذكرة القنصلية العراقية في بيروت المؤرخة في ١٩٤١/٨/٩.
- د. ك. و وثائق البلاط الملكي، ملفه رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٦٤، ص ١٨٧.، مذكرة القنصلية العراقية في بيروت بتاريخ ١٩٤١/٨/١١.
- د. ك. و وثائق البلاط الملكي، ملفه رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٦٤، ص ١٩٧، مذكرة وزارة الخارجية العراقية المؤرخة في ١٩٤١/٩/١٤ إلى رئاسة الديوان الملكي.
- د. ك. و وثائق البلاط الملكي، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٧٠، ص ٢١٥، تقرير القنصلية فيحلب بتاريخ ١٩٤١/٨/٦.
- د. ك. و وثائق البلاط الملكي، ملفه رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٧٢، ص ٢٦٦، مذكرة القنصلية العراقية في حلب المؤرخة في ١٩٤١/٧/٢٧.
- د. ك. و وثائق البلاط الملكي، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٧٢، ص ٢٣٢ ، مذكرة القنصلية العراقية في حلب المؤرخة في ١٩٤١/٧/٢٩ كذلك، المصدر نفسه، وثيقة رقم ٧٠، ص٢١٧.
- د. ك. و وثائق البلاط الملكي، ملفه رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٧٢، ص ٢١٣، مذكرة القنصلية العراقية في حلب بتاريخ ١٩٤١/٧/٣٠.
- د.ك.و وثائق البلاط الملكي، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٧٢، ص ٢٣٧، كتاب القنصلية العراقية في حلب إلى وزارة الخارجية بتاريخ ٣٠ تموز ١٩٤١.

- د.ك.و وثائق البلاط الملكي، ملف رقم ٧٣٣ـ ٣١١ ، وثيقة رقم ٧٢، ص٢٤٣، مذكرة القنصلية العراقية في حلب بتاريخ ١٩٤١/٨/٤.
- د. ك. و وثائق البلاط الملكي، ملف رقم ٧٣٣ ـ ٣١١، وثيقة رقم ٧٢، ص ٢٣٠ ، مذكرة القنصلية العراقية في دمشق المؤرخة في ١٩٤١/٧/٢٨.

ثانيا: المراجع :

- إبراهيم علوان، من مشكلات الشرق الأوسط ـ الوطن العربي، الجزء الأول، منشورات المكتبة العصرية ـ بيروت ١٩٦٨.
- أحمد عطية الله، القاموس السياسي، ط ٣، القاهرة، ١٩٦٨.المراجع
- باتريك سيل، الصراع على سوريا دراسة للسياسة العربية ١٩٤٥ ـ ١٩٥٨، ترجمة سميرة عبده ومحمود فلاحة، ط ١، دار الحكمة للنشر، بيروت ، ١٩٨٠.
- جيفرى وارنر، العراق وسوريا ١٩٤١، ترجمة وتقديم د. محمد مظفر الأدهمي، دار الحرية للطباعة ، بغداد، ١٩٨٦.
- خير الدين الزر كلى، الأعلام، المجلد الثالث، ط ٤١، بيروت، ١٩٧٩.
- نجيب الارمنازى، سوريا من الاحتلال إلى الجلاء، بيروت ١٩٧٣.
- ولنسر لاكسور، الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط ترجمة لجنة من الأساتذة، ببيروت، ١٩٥٩.